كرنشيف

الملك الذئب

روايـــة

تامـــر صحصاح

ماســـتر

كرشيف

رواية..

تامر صحصاح

تصميم الغلاف

بيشوى ظريف

الجمع والإخراج

التجهيزات الفنية بدار ماستر للنشر

رقم الإيداع/٩٥٥٠/٢٠٢٠م

ISBN: 978-977-85710-1-1

13,5×19.5 CM

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

ماســـتر ©

٢٠٢٠م

Email: master.publisher@hotmail.com
Facebook: facebook.com/Master.PH
Smashwords: smashwords.com/master.ph
Tel & Whatsapp/ +2 0128 730 3637

ليس الوفـــاء صفة مقصورةعلي بني آدم..

إن كنت تريد أن تعرف من هو «كرشيف»؟!
فهو ملك الذئاب الوفي...

«كرشيف»
الملك الذئب

الفصل الأول

«اليوم السبت الموافق ١٦ أبريل عام ١٩٨٣.»

يقف بالقرب من المسجد القديم الأثري المبني من الطين وحجر الكرشيف «أحجار تتكون من الملح والرمال الناعمة المختلطة بالطين».

وينظر على مرمي البصر.

كان قرص الشمس الذهبي يتدلى ويختفي في الأفق ويظهر آخر الخيوط البرتقالية تختفي من بين النخيل الكثيف المتفرق ومن بين جريد النخيل العالي وأنت تتأمل غروب الشمس.

ويظهر من بعد بحوالي ٣ كيلومتر جبل الموتى في واحة سيوه.

وبقرب الجامع يظهر هذا المنزل المتواضع التي تظهر عليه ملامح مرور الزمن يتكون من طابق واحد علوي وأيضا مبني من حجر الكرشيف والطين وله بعض السلالم القليلة التي تأخذك من ساحة أمام المنزل إلي الباب الذي يظهر عليه أيضا تجاعيد الزمن وتساقط القشرة الخارجية للونه الأزرق السماوي.

ويجلس في ساحة المنزل عدد كبير من الرجال على كنب وبعض الكراسي المصنوعة من جريد النخل.

والمقرئ يتوسطهم يتلو بعض آيات القران الكريم.

ويقوم بعض الرجال متجهين يقدمون له واجب العزاء إنه (الشيخ فالح).

يقف في أول الصف يتقبل العزاء في أخيه الشيخ (شمس الدين)

كبيروشيخ القبيلة الذي وافته المنية صباح اليوم.

وكان للواحة عاداتها وطقوسها المختلفة.

فكما يطبق فيها قانون الدولة المصرية إلا أنها كمعظم نجوع وقري ومحافظات الصعيد وسيناء يوقرون كبيرهم وأعلمهم بشريعة الله وأحكام الدين.

ويحكمونه فيما بينهم كقاضي عرفي.

قبل أن يحكم فيما بينهم قاضي الدولة.

والدولة تحترم فيهم هذه العادات.

طالما لم يقع ظلما على أحد من قبل أي قاضي عرفي.

إلا أن كانت الجريمة أو الفعل يتطلب تدخل الأمن والقضاء.

وبوفاة (الشيخ شمس الدين) كان أعلم أهل القرية وأفضلهم (الشيخ فالح).

أخو الشيخ (شمس الدين) رحمه الله.

وكانت العائلة معروفه بتعلمهم وتعلقهم بتوريث الشرعية فيما بينهم بالتعلم والتدين ومعرفه أحكام الدين وأحكام وأعراف العادات والتقاليد أيضا.

واجتمع شيوخ وكبار الواحة السبعة في مجلسهم في الأسبوع التالي لمبايعه (الشيخ فالح) بتوليه القاضي العرفي فيما بينهم.

وتظهر ملامح المضيفة ويتوسطها رجل حاد المعالم قمحي البشرة انه (محروس) رجل بسيط يعمل مع (الشيخ فالح) في أعمال الأرض وفي جمع المحاصيل المختلفة من تمور وزيتون وخلافه وكان دائما يرافق (الشيخ فالح) في أي مكان.

كان يقوم بصنع الشاي الأخضر بالنعناع على منقد كبير عليه

أكثر من إبريق وهو المشروب الرسمي لأهل سيوه ويوزع على الحضور كلا بدوره.

وتظهر معالم الغرفة بمسحه دائريه بالعين نري معالم جدرانها لا زالت تتمسك بالحضارة القديمة اللي تتحدث عن سيوه وحضارتها وأسلوب البناء.

فنري أن شبابيك الغرفة كمعظم شبابيك المنازل هناك كانت تقترب من سقف المنزل، وعبارة عن فتحات مثلثه صغيره فقط لتهويه الغرفة وتجعلها رطبه، وهناك بعض المشغولات المصنوعة من الجريد بشكل هندس منظم وبروازكبيرلأبيه معلق علي الحائط.

و(للشيخ فالح) ابن وحيد وثلاثة من الإناث.

(مريـــم) وكانت آنذاك ١٦ عام.

(سلمي) وكانت في ١٤ من عمرها.

(عنود) وكانت في ١٢ من العمر.

أما (صالح) كان الطفل ذو الـ ١١عأما.

وكان (الشيخ فالح) يحاول دائماَ أن يعلم ابنه كيفية إدارة الجلسات وكان يود أن يكمل مسيرته من بعده أو من بعد عمه لأنه يعلم أن ابن عمه (هارون) لا يحب العلم والتعلم فكان يحاول إعداد صالح ليرثهم من بعدهم في علمهم وتعلمهم.

ونري هنا بعد انصراف مشايخ الواحة أن (الشيخ فالح) يبحث عن صالح ويظهر وهو يتوسط منزله المتواضع الذي يخلوا من أي وسائل وسبل الرفاهية في هذه الأيام.

ماعدا مذياع قديم ليسمع من خلاله إذاعة القران أو حفلات أم كلثوم.

ويوجد بعض الكنب الخشبي المطعم ببعض من جريد النخل ويغطيه بعض المشغولات البدوية تسمي بالكليم وهو غطاء يشبه السجادة ولكنه مشغول يدوي بمساحه الكنب متعدد الألوان.

وبعض من التكايات الصغيرة تعتبر كمسند للظهر.

وبعض المقاسات المختلفة أيضا من الكليم تغطي معظم ارضيه المنزل.

وأكثر من منضدة كبيره أمام الكنب.

وفي ركن من الأركان يوجد زير كبير مملوء بالماء البارد اللذيذ.

المجلوب من إحدى العيون العذبة المحيطة بالواحة.

مثل بئر عين كليوباترا من أشهر عيون سيوه.

ونسمع (الشيخ فالح) وهو ينادي بصوت مرتفع:

(صفية) .... (صفية)..... (يا صفية).

وتظهر (صفية) وهي زوجه (الشيخ فالح).

وهيا تأتي مهروله من الغرفة المخصصة لتحضير الطعام (المطبخ). وتظهر بلباسها المتأثر بالتراث السيوي باللون الأزرق الغامق يملاه التطريز هنا وهناك وتضع غطاء علي الرأس ولكنه لا يغطي الشعر بأكمله.

فيظهر من الخلف ضفائرها الكثيرة العدد. تتدلي على ظهرها.

فمع مرور كل هذا الوقت والسنين إلا أن سكان الواحه لا زالوا متأثرين ببعض الثقافات القديمة التي سكنت ألواحه.

مثل بعض الأثيوبيين والبربر وبعض من الأفارقة من مناطق عده وبعض من القبائل الليبية بحكم قربها من هناك.

وتجيب على زوجها بصوت هادي يكاد لا يسمع:

- أأمرني (يا شيخ فالح).

- فينك يا(صفية) عمال بنادي عليكي اديلي ساعة.
- اعذرني يا شيخ والله ما سمعت من حكاوي بناتك.
- المهم فين (صالح) بدور عليه مش لاقيه.
- تسأل صفية.
- هما الرجالة مشيو خلاص؟؟
- أيوه من بدري.
- مبروك عليك يا كبير المشايخ.
- مبرروك ...!!
ويتنهد (الشيخ فالح) تنهيدة تكاد تدل على الحيرة والألم.
ويستكمل حديثه مع زوجته.
- مبروك إيه بس يا (صفية)... ده حمل جبل.
عارفه يعني إيه يا (صفية) تقابلي ربك في يوم تسويه المظالم
ويكون عندك حكم واحد بس ظالم!
الحكم بين الناس يا صفية هم طول العمر...
افتكر أبويا زمان ...كان يقعد بعد كل جلسة.... اكتر من يوم صاحي يفكر وسرحان، كانت أمي تسأله باستمرار:
- ثاني (يا شيخ محمود)!
- يقولها ثاني وثالث ورابع .
- لازم أفكر مليون مره حتى بعد ما حكمت يمكن أكون ظلمت حد، أقابل ربنا أقوله إيه؟
وعاش نصف حياته صاحي يا صفية، كأنه عليه تار.

يعود (فالح) في استفاقة من الماضي ويسأل؟
- يا بت اسألك عن الواد تقليلي مبروك...؟

وترد (صفية):

- بخير يا خوي في الغرفة القبلية .

وتسأل مستعطفه:

- ما تسيبوا براحتو (يا شيخ فالح).

بالله عليك طالما هو مش عاوز يبقي كبير مجلس ولا شي .

سيبه براحته الواد لسه صغير.

يجيب فالح ونظرات عينه تشرد بعيداً:

- عارفه يا صفية ...

أنا مش عاوزه يبقي كبير ولا شيء لأن الكبير واللي يحكم ،لازم الناس هيا اللي تختاره.

أنا عاوز أعلمه للحياة. للدنيا عشان ما يظلمش أحد ولا يخاف انه يقول في يوم كلمه حق ويكون قلبه عامر بالمعرفة..... والعلم والإيمان بالله.

مش عاوزه يكون ضعيف يا(صفية) ....

افهمي يا بت.

ويقولها بنبره أعلي مما سبق .

- صفية خلاص يا خوي اللي تشوفه،وبعدين ضعيف ولا قوي أهل الواحة كلهم طيبين، ومفيش حد ما يعرفوش يا شيخ.

- يجيب الشيخ مؤكدا .... عشان الزمن!

الزمن بيتغير يا صفية والنفوس والناس بتتغير معاه.

ويمسك بيد صفية ويخرج خارج البيت.

ونظر بعينه للفضاء بعيدا باتجاه الصحراء .

ويشير قائلا..

- شايفه الصحراء دي يا(صفية)؟

صفية تشرد بنظرها بعيدا ثم تنظر إليه مره أخرى باستغراب وتتساءل !!ماذا يفعل ؟!

- فيقول أهي الصحراء دي يا (صفية) كل هبه ريح تمر عليها تعلم فيها خطوط وكل ما كانت الريح أقوى تمسح الخط القديم وتعلم فيها خطوط جديده وبقالها سنين على ده الحال.

لا الخطوط ثبتت ولا الريح بطلت تعلم فيها..

وينظر إليها فيري في عيونها نظره استغراب واستنكار لما يقول.

فبدا بتوضيح كلامه أكثر وقال:

يا(صفية)، الصحراء دي زي الزمن ثابت ومعروف اللي يتغير فيه بس أرقام لكن كزمن مش بيتغير معروف ساعاته وأيامه وسنينه.

أما الريح زي البشر كل يوم بشكل جديد وخط جديد وأفكار جديده.

منهم اللي خطه مستقيم...

ومنهم اللي خطه اعوج.

وكل يوم يطلع جيل يبدل جيل وناس تعدل فوق ناس.

زيهم زي الريح .....فهمتي!

تنظر له نظره تفاخر وإعجاب قائله:

- ما شاء الله عليك (يا شيخ فالح) بتفهم حتى في الريح.

فينظر إليها (الشيخ فالح) مبتسما ويرتب على ظهرها ويقول:

- روحي يا (صفية) جهزي الغدا بدل ما أحطك بنفسي في وش الريح وأنا ها اروح أشوف (صالح) فين..

ويتركها ويسير مبتسما ويضحك بصوت يكاد أن يسمع للمارة .

البت أقولها زمن تقولي تفهم في الريح، يا مثبت العقل يارب!!

ويسير بجوار سور المنزل متجهاً لباب خشبي صغير لغرفة خلف المنزل، ويفتح الباب ويدخل فيري ابنه الصغير يلعب مع صديقه الوحيد(فارس) ابن جيرانهم وصديقه بالدراسة وكان(فارس) أكبر من (صالح) بعامين.

يلقي عليهم التحية بعد دخوله الغرفة ويوجه كلامه(لفارس) أولا:

- هه كيفك يا (فارس) .
- الحمد لله يا عمي الشيخ.
- وكيف أبوك لسه راقد عيان.
- أيوه يا عمي الشيخ.

وطول الليل أمي قاعده جاره تعمله لبخه على صدره.

- سلم لي عليه يا ولدي وان شاء الله ربنا يشفيه.

وقول له عم الشيخ بيقولك متنزلش الشغل إلا لما تكون بخير.

ولو احتاج حاجه خليه يبعتلي.

ويربت بيده علي رأس الصبي بكل حب وحنان.

ويجيب (فارس):

- حاضر يا عم الشيخ ها أقولة، ربنا يخليك لينا .

فينظر إليه مره أخرى:

- متقلش كده يا ولدي .
- قول دايماً الحمد لله.

هو الرازق يا(فارس) ومحدش يا ولدي ليه خير علي حد.

كله من فضل الله ...ولله.

ويتجه بنظره لابنه (صالح).

- وإنت فينك يا ولدي من الصبح داخلين على العصر اهه.

ولا جيت تصبح على ولا حضرت المجلس معاي.
وقبل حتى أن يجيب (صالح).
ينظر الشيخ (لفارس) ويوجه له الكلام.
- طب ينفع كده يا فارس ؟
ويعود للحديث مع ابنه مره أخرى.
- يا أخي ده (فارس) أول ما دخل البيت دخل عليا المضيفة وسلم علي، تمرت فيه العشرة عنك يا ولد ضهري.
ويضحك دلاله على تهريجه ومزاحه معهم.
فيجيب (صالح):
- ما هو يا بوي لما بقعد معاكم ساعات مش بفهم شيء من اللي بتقولوه.
يجيبه الشيخ فالح مبتسما:
- يا واد يا عبيط مش لازم تفهم...
اللي متفهموش اليوم تفهمه بكره وكله علام...
والمدرسة مع الكتب والجلسات دي ها تخليك متظلمش حد أبداً،وتخليك تفكر ألف مره قبل ما ترد على أي كلام.
مقاطعه (صالح) معلقا :
- يا با أنا مش عاوز ابقي قاضي ولا حكم.
يجيبه الشيخ:
- مش مهم تبقي قاضي ولا حكم...
المهم تبقي حكيم يا (صالح) يا ولدي...
خليك على راحتك يا ولدي ولازم تعرف أن عمري ما هخليك تعمل حاجه غصب عنك.
وقبل أن ينصرف وجه كلامه لكلاهما:

- شوي وحصلوني على المندرة عشان الغدا.

أوعي تمشي يا (فارس) تعالي مع صالح عشان نتغدى مع بعض يا ولدي.

ويسرع (فارس) بالإجابة:

- أمشي فين يا عم الشيخ؟! ده أمي (صفية) قالت لي أنها عاملة كسكسي النهاردة ودي أكلة الأعياد .

فيضحكون جميعا ويرد عليه الشيخ :

- اهه ده إنت رامي دماغك مع أمك (صفية) من الصبح في الفرن والمطبخ.

يضحك (فارس) ويجيب علي الشيخ

- أمال يا عمي أصل (سلمي) جت الصبح عندنا تأخذ الغربال عشان الكسكسي.

فقلت مبدهاش أنا قتيل هنا النهاردة ويا أنا يا الكسكسي .

يضحكون مره أخرى وينظر إليه الشيخ ويقول:

- الله يحظك يا فقري ضحكتني يا ولدي والقلب مهموم.

متتأخروش وينصرف عنهم مغلقا الباب من خلفه.

الفصل الثاني

في الجانب الآخر من خلف المنزل نجد منزل يشبه منزل (الشيخ فالح) فمنازل الواحة تشبه بعضها البعض في الطراز والبنية مع اختلاف المساحات.

فنجد بداخل هذا المنزل فتي في سن الثامنة عشر من عمره يغلب على وجهه الملامح الذكورية الحادة، اسمر البشرة طويل البنية جسده متوسط لا بالنحيف ولا بالسمين انه(هارون) ابن الشيخ (شمس الدين) رحمه الله أخو الشيخ (فالح) ويجلس مع (رقيه) على كنبه خشبيه كبيره وأمامه منضدة صغيره .

وكانت (رقيه) تصنع فنجان من القهوة على سبرتايه صغيره فوق هذه المنضدة.

ويظهر على وجهها ملامح الحزن والأسي لوفاه زوجها ولكن مع ملامح الحزن تظهر أيضا ملامح الغضب والحقد ترتدي رداء يغلب عليه الشكل العأم (للملس) الصعيدي وتتحدث مع ابنها بنبرات يملاها الحسرة وكانت تجلس على الكنبة مربعه القدمين وتهتز للأمام وللخلف من استمرار التنهدات وخروج الآهات.

(رقيه).

- اااااااااه اااااااه اااااااه.

ينظر إليها هارون متحدثا بعد سماعه كثيرا من الآهات:

- مالك يا يما ده حال الدنيا هتموتي نفسك بالطريقة دي .

وتنظر أمه نظره استنكار لما يقول وتعود وتنظر في كنكة القهوة.

- يعود (هارون) للكلام:

القهوة دي مش ها تخلص بقالها ساعة على السبرتايه.!
عاوز الحق اشربها قبل العصر عشان أقوم أصلي ...
واروح اقعد مع عمي شوي واسيبلك البيت للحريم اللي جايين يعزوا .
تنظر له أمه مره أخرى باستنكار..
وتتنهد بصوت عالي وتعود للكنكة.
فيقول (هارون) ناظرا لأمه وهو يشعل سيجاره .
- اه على فكره مريم بنت عمي جابت صينيه أكل لو حابه تأكلي شيء.
فتثور(رقيه) في وجهه هارون:
- عمي عمي عمي مالك؟!!
أبوك لسه ميت بقاله أسبوع وإنت عمال تقولي عمي عمي؟!!
إنت إيه؟ مش حاسس ولا مش دريان باللي صار؟
يرد (هارون) مستنكرا رد فعل أمه :
- وايش اللي صار بس يا يما؟..
رسالة وعلينا تدور.
تثور مره أخرى وتقول بصوت يملأه الغضب :
- يكش تكون فاكر إني زعلانه علي موت أبوك!
أنا مقهورة من اللي بقينا فيه.
ينظر إليها (هارون) بإستغراب لما تقول:
- والله ما بقيت فاهمك يا ما!
لو مش زعلانه علي موت أبوي يبقي إيه اللي قاهرك؟
- شوف يا ولدي...
موت أبوك ده حق، روح وراحت للي خالقها ...

لكن قهرتي على اللي بقينا فيه مخلياني مش قادره حتى أحزن علي موت أبوك.

يرد (هارون):

- ومقام السنوسي تقولي و إيش قاهرك من غير فلسفه، أنا اللي في مكفيني.

- و إيش فيك إنت زعلان .... حزين علي موت أبوك؟..

لكن مش حزين على حالك؟!

- ماله حالي يا ما!! الحمد لله أبوي سابلنا خيركتير...

وخالي (رزق) الحمد لله هيتابع الأرض والمحصول زي ما كان مع أبوي.

- يا ولدي أنا اللي قاهرني، إنك لوكنت كبيرشوي، لوكنت سمعت كلام أبوك وكملت علامك كان زمانك إنت كبير المجلس وحكيم زي أبوك. لكن إحنا فين الحين؟..

عمك هو اللي بقي كبير المجلس، وبيتنا بعد ما كان الناس يهابونه ويحترموا كل حجر فيه ومليان بالشيوخ والأعيان طول الوقت خلاص..

البيت فضي على وعليك والبيت روحه انطفت.

وبكره تشوف البيت اللي كان عمران بالناس دايماً، راح يكون ولا جبل الموتى مش هتسمع فيه غير صراخ الأموات .

يرد (هارون):

- متكبريش الحكاية يا ما البيت عمران دايماً بروحك وصوتك فيه.

وتنظر إليه بنظرات تدل على الحقد:

- لكن عمك مكنش محتاج العمار، طول عمره في بيته حياه

وروح وربك عاطي له بدل العيل أربعه والناس دايماً في بيته من غير ما يكون حتى كبير المجلس..

لكن أنا وأبوك عشنا في الوحدة سنين كتير، وربك أراد إنك تكون وحيد وجيت بعد سنين مليت علينا البيت...

وبعد موت جدك وأبوك بقي شيخ المجلس دبت الروح في البيت عازوني ارجع تاني للوحدة ...

اه بس لو كنت كبير شوي كنت زمانك.

ويقاطعها هارون :

- هووووووو يا ما تصدقي بالله ...

كده أحسن..

البيت كان أكنه سوق ودوشه طول الليل والنهار، ناس كتير وده يصرخ وده يشكي، وأبوي كان ساعات كتير يدفع من جيبه عشان يراضي الناس ...

يا ما بلا ناس بلا كبير بلا صغير بلا وجع قلب ...

ومبروك على عمي.

وتثور مره أخرى مؤشره بيدها في وجه هارون :

- إسمع إنت لازم تكمل علام، وتتعلم ...وتتعلم ...وتقرا ...وتعرف كل شيء لازم تبقي كبير المجلس .....ثم تقول بنبرات خافته:

الحين .....أو حتى بعد حين.

تقولها وفى عينيها نظره من يفكر ويدبر لشيء ما .

وينظر (هارون) للقهوة التي فارت وأطفأت النار:

- اهه ادي القهوة كمان فارت أنا سايبلك البيت واروح أصلي العصر...

خليكي إنتي مع خيالاتك...
ولا أقولك إيه رأيك تبقي إنتي الكبيرة.

ويتركها ويخرج ويقفل الباب بقوه متعصبا مما داربينه وبين أمه.

ويظهر (هارون) وهو متجه للمسجد لتأدية صلاه العصر.
والناس من حوله يحيونه ولكنه شارد الذهن لا يبالي ولا يسمع لأحد سامعاً صوت أمه في عقله بصوت عال.
من الواضح انه تأثر بما قالته (رقيه).

يسير بخطوات بطيئة ويتردد في ذهنه كلمات مثل كبير المجلس...
والمنزل الذي أصبح مثل جبل الموتى ..
ويعود بالذاكرة للخلف ليتذكر كلمات والده، عندما أخبر (هارون) والده بأنه لا يحب التعليم ويكفي ما تعلمه وأنه يحب التجارة ..
وتذكر رد والده عليه الشيخ (شمس الدين) بأن التعليم والمعرفة هما شمس العقل والحكمة .
وأن المعرفة هي المصباح الذي ينير للمرء طريقه.

ولكن (هارون) كان شغوف بالتجارة وجمع المال وكان يراوده دائما حلمه بتكبير تجاره والده وجمع المال الوفير وبناء منزل فخم كمنازل القاهرة أو الإسكندرية التي راءاها عندما كان يذهب مع خاله بتسليم محاصيل التمر والزيتون وبعض المحاصيل.

وهنا يسمع صوت رجل من جيرانه يسير بجواره ويقول بصوت مسموع مع خبط كفيه كلاً بالأخر:
لا حول ولا قوه إلا بالله وينادي (هارون) (هارون) مالك يا ولدي؟

فيعود (هارون) للواقع بعد سماعه تلك الكلمات وينظر للمارة ويري في وجوههم نظرة غريبة، لا يفهم ماذا يقصدون بهذه النظرة فلم يدرك أن بعض من الجيران كانوا يلقون عليه التحية وهو شارد الذهن .

دخل (هارون) المسجد وألقي السلام على بعض الحاضرين بصوت مسموع، وذهب إلي ركن من أركان المسجد واتكأ على الحائط بظهره مع ثني قدمه وركبته للأعلى وألقي ذراعه على ركبته وشرد ذهنه مره أخرى.

الفصل الثالث

بعد تأقلم الواحة مع الوضع الجديد بتولي (الشيخ فالح) رئاسة مجلس شيوخ الواحة .

ومر الشروق يتبعه الغروب والفصل تلو الآخر والسنه تلو الأخرى والواحة تسير بنفس النهج والطبيعة والهدوء الغالب علي طباعهم.

ومر أكثر من ٥ سنوات خلال هذه السنوات تزوجت (مريم) ابنه (الشيخ فالح) الكبرى لابن خالتها (عمر)
واستقروا في نفس المنزل الذي يعيش فيه(عمر) وخالتها.

أما اليوم فهو الخميس ثالث أيام عيد الفطر
١٩ مايو سنه ١٩٨٨
تشهد الواحة في هذا اليوم حدثاً هاماً كان زفاف ابنه الشيخ فالح الثانية (سلمي) على (معاذ) ابن الشيخ (عبد الجليل) وهو أيضا من كبار شيوخ الواحة ومن أهم تجارها وكانت الواحة جميعاً نساء ورجال وأطفال يتجمعون في هذا العرس الكبير الذي يمتلئ بالذبائح والغناء السيوي الجميل ويظهر الرجال معا يباركون للشيوخ على زواج الأبناء.

والنساء معاً يحتفلون ويرقصون في مكان آخر لأن من عاداتهم إحتفال الرجال والنساء كلا على حده.

ويظهر (صالح) وصديقه (فارس) بجوار (الشيخ فالح) وقد ظهر على وجوههم معالم المراهقة والشباب .

وبطبيعة الحال ظهر (هارون) يتوسط الرجال بالعرس ويشكر جميع الحضور.

وتغيرت معالمه بدوره فشاربه الكثيف ومعالم وجهه الحادة ونضوج جسده الكامل في البنيان مع تغير نمط ملابسه ومظهره بالعقال فوق رأسه مع ارتدائه جاكت أسود فوق الجلباب أعطاه مظهراً يفوق عمره بقليل.

ومن الجانب الآخر للواحة أثناء وقت العرس يظهر بعض الرجال والشباب لا يتعدون الـ ٧ أشخاص يقومون بتحضير بعض الأشياء والفخاخ المستخدمة في الصيد البري.

فقد كانت هواية شائعة بين بعض سكان الواحة. .

وهي صيد الذئاب فمنهم من يصطاد للتسلية ولتضيع بعض الوقت، ومنهم من يصطاد لبيع الفراء أو تحنيطه وبيعه.

وكان(ربيع) صديق الطفولة والشباب (لهارون) وذراعه الأيمن بعد انشغاله بتجاره والده فلم يجد من يسانده أكثر من رفيق الطفولة والشباب .

وكان(ربيع) يقف منتظراً بجوار سيارة ربع نقل ممسكاً بيده سيجاره وينفث دخانها بتوتر ويظهر عليه معالم التوتر وينظر في ساعته كثيرا ويلتهم السيجارة الممسك بها بين أصابعه في أقل من نصف دقيقه.

وتأتي من بعيد سيارة أخرى ربع نقل قديمة وينزل منها شخص غليظ الصوت يعرج بقدمه عرجه بسيطة بسبب حادث قديم عندما هاجمه ذئب جبلي في رحله صيد ويلقب (بالحفار)، وقبل أن

يبدأ حتى بالسلام توجه إليه (ربيع) وقأم بسؤاله :

- جبت العضم والكشافات.

فيجيب (الحفار) بصوته الغليظ :

- اه جبت هو يعني كان لازم نطلع الليلة دي نصطاد لا في قمر ولا هلال حتى .....والسماء زي ما إنت شايف متكحله.

فيجيب (ربيع) بلهجه رافضة لما يحدث :

- اهه ادي الله وادي حكمته .

طالما (هارون) قال يبقي لازم ننفذ من سكات بطل رغي ونزل الحاجة.

يالا.... (هارون) على وصول.

- هه هو عم (هارون) لسه مجاش.

- لا لسه يا سيدي ...وقال من حبه في عمه راح يقضي واجب العرس يقولها بلهجه تملأها السخرية واستنكار الفعل.

فيسأل (الحفار):

- هه وهو عم(هارون) ميحبش عمه؟

يعلو صوت(ربيع) على (الحفار) :

- هس هس اسكت إيش فهمك إنت خليك في حالك يالا قبل ما يوصل ويكربجنا معاه.

يجيبه الحفار:

حاضر حاضر- ثواني وكله يكون جاهز.

ويظهر من بعيد ضوء سيارة تقترب منهم فيقول(ربيع) (للحفار):

يالا شد حيلك (هارون) وصل .

- هه وإنت عرفت انه عم (هارون) من بعد كيلو!

فيجيب بطريقه ساخرة:
- اه عرفت أصل أنا مخاوى.
فيتمتم(الحفار) في سره :
- مخاوى ههه تعرف إيه إنت عن الجن والعفاريت؟!
وإنت طول عمرك عايش في النور.
يلتفت إليه (ربيع) ويسأله:
- بتقول شيء يا(حفار)؟
- لا مبقلش.
- طب خلص بدل ما اخليك تعرج بالاثنين.
- لا وعلى إيه خلاص اهه.

وتقترب السيارة شيئا فشيء وتظهر معالم سيارة ربع نقل شيفروليه موديل ٨٧ ما زالت تبدو أنها جديده فلم يمضي علي موديل السيارة إلا عام وبضع شهور حتى تستقر أمام (ربيع)، وينزل منها (هارون) ويلقي السلام على صاحبه متبسما:
- إزيك يا صاحبي؟
فيجيب ربيع بلهجه تميل للعتاب :
- هو ده الساعة ١٠ بكون عندك، يارا جل ده دخلنا في نصف الليل.
- خلاص يا(ربيع) هون على نفسك ورحمه الغالي.
واجب ولابد منه.
- واجب إيه بس يا هارون ؟
إنت ناسي عمك عمل فينا إيه في عرس مريم من سنتين ؟
وصغرنا بين الناس.

- يووووه إنت لسه شايل في قلبك.

ما إنت عارف زين أن (الشيخ فالح) لا يحب السلاح ولا ضرب النار.

وإحنا ذودناها يوم العرس .

يا راجل ده كان عنده حق .

ده لو كنا بحرب ما كناش ضربنا الكمية دي.

وكانت أول مره تحصل في الواحة.

فيكمل(ربيع) :

- على قولك المهم إنك وصلت رسالتك يومها.

يستأنف (هارون) مؤكد كلام (ربيع) :

- على قولتك يا ربيع والواحة كلها عرفت من يومها، إن (هارون) بقي واحد تاني غير(هارون) اللي يعرفوه.

يقولها وبها إحساس من التفاخر ونظره يملأها الكبر.

ويضع يده في جيبه ويخرجها وبها علبه سجائر معدن ذهبيه اللون مربعه ويخرج منها سيجاره ملفوفه بمخدر الحشيش ويعطيها لربيع ويأخذ واحده أخرى لنفسه.

ويستعمل (ربيع) كبريت ليشعل سيجارته ويأخذ نفس عميق وينفث دخانها الأزرق مصاحبه تنهيدة عميقه من الأحشاء وينظر (لهارون) ويقول :

- هو ده الكلام

فيضحك (هارون) ويشعل سيجارته بولاعة صغيره معدنيه ويوجهه كلامه (للحفار) بأسلوب سخريه يصاحبها ضحكات منه هو(وربيع):

- إزيك يا (حفار) تأخذ لك سيجاره؟

فيجيب (ربيع):
- بلاش بدل ما يعرج على ايده.
فينظر لهما (الحفار) وينظر للأرض ويجيب بصوت خافت :
- الحمد لله يا عم (هارون).
فيسال(ربيع) (الحفار) باستغراب :
- إلا قولي يا(حفار) إنت ليه بتقول (لهارون) يا عم (هارون) وبتقولي يا (ربيع)؟
مع أن أنا و(هارون) من سن بعض وإنت أكبر مننا بكثير؟
فيجيب (هارون) ساخراً من صديقه وهو يمر بجانب الحفار ويضع ذراعه فوق كتف الحفار:
- الظاهر كده يا (حفار) أن مش إنت اللي ها تعرج على ايدك .
فيضحك الجميع و(الحفار) بالأخص يضحك علي(ربيع) وسخريه (هارون) منه .
ويلتفت (هارون) يساراً على بعد أمتار ينادي بقية الأفراد بصوت عالي:
- يالا يا رجاله - فيجيبون بصوت واحد:
أوأمرك يا عم (هارون) .
فيوجه (هارون) كلامه (للحفار) :
- يالا يا (حفار) خد الرجال والأغراض .
وخليك ورايا بالكراكة دي مشيرا بيده على سيارة(ربيع) .
وأنا و(ربيع) ها نروح بسيارتي.
يسأله (الحفار):
- ناوي تصطاد فين المرة دي يا عم (هارون):
(هارون) ينظر يمينا ويجيب :

- علي جبل الدكروريا (حفار)

- هه جبل الدكرورما بلاش يا عم (هارون) جبل الدكرورده واعر والديابة هناك خطروكتير.

- متخافش يا (حفار) جايبلك معايا ٤ حتت آلي معتبرين أي ديب يفكريلمسك راح نخلهولك غربال.

وتبدأ السيارات في المضي قدماً واحده تتبع الأخرى و(هارون) متقدما بسيارته الجديدة ويسأله (ربيع) وهما بكابينة السيارة أثناء الطريق:

- وكان لازمته إيه ده كله يا صاحبي ؟

كنا أخدنا كأم راجل من بتوعنا ورحنا خلصنا العملية ورجعنا سكيتي .

كان لازم يعني الليلة دي وبنادق وضرب نار؟!!

ينظر(هارون) لربيع ثم يتابع النظر للطريق ويجيب:

- شوف إحنا أصحاب عمرنا كله وعمرك ما تعلمت تفكر.

قدر صار شيء ولا حصل في الأمور أمور، يبقي إحنا في الأساس طالعين نصيدو ومعانا شهود على اليوم .

ويتابع بكل سخريه مشيرا بيده خارج السيارة :

شايف عسف النخل ده والله يفهم أحسن منك .

ويرد (ربيع) بلهجه عتاب من سخريه صديقه :

- ماشي يا صاحبي قال يعني مش أنا اللي بعملك كل حاجة.

يضحك (هارون) :

- هههههه ما هو بتفكيروتوجهات مين؟

مش العبد لله ؟؟

وشوف تفكيري وتكتيكي وصلنا لفين.

اسكت. اسكت إحنا وصلنا.

وبعد توقف السيارتين يأمر ٤ رجال بأخذ كل أغراض وفخاخ الصيد، ومن ضمنهم (الحفار) ليبدئوا صنع الفخاخ وتغطيتها بالعظأم واللحم ويأمر رجلين بالإنتظار ومراقبه المكان خوفا من تسلل ذئب عليهم وهم يقومون بحفر الفخاخ ويعطي كل منهم بندقية آلية.

ويأخذ هو و(ربيع) كلاً منهم بندقية آلي ويتجهون لقمه من قمتين جبل الدكرور.

ويتمتم (الحفار) بكلام لا يكاد يسمعه هو نفسه.

- رايحين فين دول ربنا يكعبلكم في جني تايه يخفيكم طول العمر. يا بااااي اثنين أرخم واشر من بعض صحيح ما جمع إلا ما وفق.

ويوجه (هارون) كلامه(للحفار) :

- (حفار) بطلع أنا (وربيع) نراقب المكان من فوق عشان نكشف المكان كله على ما تخلص حفر.

ويتجه (هارون) و(ربيع) لقمه (ناصره) وهي قمة في جبل الدكرور والقمه الأخرى في جبل الدكرور تسمي (نادره).

وفي قمة (ناصره) مغاره منحوتة في الصخر تسمي (تناشور) ولها سته أعمده مربعه وفي غرب هذه المغارة توجد بعض الكتابات الهيروغليفية القديمة وفي أسفل هذه الغرفة (آثر) يسمي (ببيت السلطان) مصنوع من الحجر الجيري النظيف وله سته أعمده وثلاثة غرف واحده على اليمين والأخرى على اليسار مساحة كلاً منها ٣×١.٥×٢ قدم أما الوسطي فطولها ١٢ قدما وعلى الحوائط كتابات هيروغليفية ويوجد ممرات خفيه سفليه متصلة بمعبد آمون وبهيكله الموجود بناحيه (الاغورمي).

صعد (هارون) و(ربيع) لقمه (ناصره).

وفي المغارة كان هناك رجال أخرى ينتظرون وهم حراس المغارة يعملون لحساب (هارون) يحفرون في هذه الممرات إلي الأسفل باتجاه معبد (آمون) حتى وصولهم لغرفه الدفن الرئيسية مقرها أسفل المعبد، وكانت مليئة بالثروات.

وكان في إنتظارهم أشخاص آخرين من هيئتهم وملابسهم يظهر أنهم من سكان القاهرة وجاؤوا لشراء بعض القطع الأثرية الصغيرة والتماثيل الذهبية الموجودة في هذه المقبرة، وكان المبدأ ما قل حجمه وثقل ثمنه وكانت عمله التبادل معدن الذهب .

يتحدث (هارون) لأستاذ (أحمد) :

- قول للباشا يبحبحها شوي، إحنا يا دوب على ما نبيع شويه الذهب ونغيرهم فلوس يتصرفوا على الرجالة.

يجيبه أستاذ (أحمد):

- الباشا اللي بيقول لك شد حيلك وشوف لنا مكان تاني عشان ده كده خلاص خلص، وبيقولك يا ريت تسحب رجالتك من هنا قبل ما أحد يشم خبرهم، والحتت الثقيلة سيبها لأن مفيش حد هايأخذحاجه بالحجم ده.

إنت بس شوف مكان غيره طالما لقيت دي هتلاقي غيرها.

- ينظر إليه (هارون) ويقول إن شاء الله.

ويعاين كل منهما التماثيل والذهب ويأخذ(ربيع) صندوق محمل بالذهب ويذهب معه رجل من رجاله ويمضون قدماً لمكان خلف قمة (الناصرة) يبعد عنها بثلاث دقائق للأسفل وبدأ الرجل في الحفر وإزاحة بعض التراب والصخور ليظهر بابا حديدياً، فيفتح (ربيع) أقفال الباب ويضع الصندوق بالداخل ويعود فيجد (هارون)

بإنتظاره مع باقي الرجال، والقاهريين انصرفوا مع صناديقهم.

يتحدث (هارون) للرجال ويوجه كلامه لشخص يحمل بندقية على كتفه يدعي (تمام) واضح أنه المسؤول عن الحراس:

- (تمام)، رجع كل شيء مثل ما كان وخد راضي الرجالة.

ويخرج من جيبه ٤ رزم من المال ويعطيها له ويشير(لربيع) بيده بإشارة معناها اعطيني ما معك .

فينظر(ربيع) نظره تمنع وعدم رضا.

- فيقول (هارون) مره أخري(ربيع).

فيخرج ربيع رزمه من سياله الجلابية .

فيشير (هارون) بيده نفس الإشارة بدون كلام فيخرج (ربيع) رزمه أخرى من جيبه الآخر، فيعطيهم (هارون) (لتمام) وقبل أن ينصرف ينظر(لتمام) ويقول :

- مش ها أوصيك مثل ما كان وخد رجالتك واختفي وأنا لو احتجتك بعرف أجيبك .

وبعد أن بدء (هارون) في النزول التفت للخلف برأسه وكأنه نسي أن يخبر(تمام) بشيء.

- اه بقولك لو سمعت عيارين نار متخافش إحنا بنصيدوا تحت .

- ماشي كلامك يا عم (هارون) ويديم العز.

ويبدأ (هارون) و(ربيع) بالنزول مره أخرى.

فيقول (هارون) (لربيع):

- كل شيء في مكانه؟

- عيب يا صاحبي هيا أول مره.

- لا مش موضوع أول مره بس دي راح تكون آخر مره.

- ليه يا صاحبي والباقي؟

- إنت ما سمعتش الباقي أحجأم كبيره ما ينفعش نقلها والباشا مش محتاجها وإحنا الحمد لله جبرت.

يعقب(ربيع) :

- أي والله يا (هارون) جبرت صح.

مين كان يصدق أن صندوق حجر بحجم كف اليد يكون فيه الكنز ده كله لولا الخريطة اللي كانت جوه الصندوق ودماغك اللي تتلف بحرير ما كنا وصلنا لشيء .

- يالا يا (ربيع) وبطل رغي مد شويه نلحق ننزل قبل المجذوب اللي تحت ما يفكر إحنا تأخرنا ليه لحسن ده لو يفكر يموت ويموتنا معاه.

يضحك(ربيع) ويقول:

- على قولتك .

يظهر (الحفار) وهو يضع بالحفرة التي قأم بحفرها بنفسه فهو خبير في حفر الفخاخ وصنعها وتغطيتها من أجل صيد الذئاب وبسبب هذا اكتسب كنيه (الحفار).

فبعد (الحفر) يضع أله حديديه تشبه الفخ لها قضيبان مسطحان مسننان يفتحان ويغلقان كالمقص للأمساك بالطريدة عند اقترابها ثم يثبت عليها سلسله من الحديد يبلغ طولها ٣٠ سنتيمتر يتم ربطها بمسمار حديدي يثبت بالأرض بقوه وتوضع على الذراعيين خشبه رقيقه تنثر العظأم واللحوم عليها لخداع الذئب وجذبه، مع مراعاة وضعها على بعد أمتار من الوصول للأله كي يركض الذئب باتجاهها مسرعا ويقع في الفخ وتنقبض الذراع عليه .

وكان (الحفار) كاد أن ينتهي هوومن معه، فيسال الحفارشخص من الرجال .

- هوليه يا (حفار) (هارون) و(ربيع) بطلوا يعملوا معانا الفخاخ زي زمان؟

ويجيب (بالحفار) باستنكار:

- والله ما أنا عارف.

خلاص تجاره (هارون) بتكبر يوم بعد يوم وشاف نفسه، ومن ساعة ما لقي الصندوق الملعون ومعرفش لبستهم لعنه الصندوق بقوا يخافوا يحفروا معانا شيء أو يلمسوا شيء.

فيسأل الرجل باستغراب تأم :

صندوق؟؟؟ صندوق إيه؟

فيجيبه(الحفار) مره أخرى :

- ده من كأم سنه كنا بنحفر تحت القمة ورا الجبل ده ولقينا صندوق حجر صغير حاولنا نفتحه أو نكسره معرفناش خالص أخده ساعتها هارون ومنعرفش عنه حاجه من يومها.

- أكيد كان فيه كنز...يقولها هذا الرجل وعيناه مفتوحتان دلاله على التعجب:

ينظر له(الحفار) :

.كنز إيه يا مخ التيس أقولك صندوق ما يعديش حجمه كف اليد.

وعلى مرمي بصره الضعيف يري هارون فيقول:

- بس بس لحسن(هارون) وصل .

يصل (هارون) للحفار ويقوم بسؤاله ها خلصت يا (حفار)؟

-اه يا عم هارون وفردت اللحم والعضم وكله جاهز.

يسال هارون :

.حطيت الكشافات بعيد؟

-اه كل واحد مسافته معقوله عشان يكون النور ضعيف .

يكمل هارون :

-طيب خلي الرجالة يالا يوصلوهم بالبطاريات ويجهزوا حالهم ومش عاوز نفس.

- وروح إنت ورا العربيات وسويلنا براد شاي معتبر عشان السهرة من يدك الحلوة... اه اسمع وذود النعناع شوي .

فيبدأ (الحفار) بالتحرك تجاه السيارات ويقول:

عيوني يا عم هارون

ويبدأ الرجال يتجمعون بعيدا عن مكان الفخاخ بعد توصيل الكشافات بالبطاريات فيظهر المكان مضي إضاءة خافته جدا يكادوا يروا بعضهم البعض.

ويتخذ كلاً منهم مكاناً بعيداً عن الآخر ببعض الأمتار ومعه بندقيته وكوب من الشاي ويحبسون الأنفاس ويمر الوقت لا يسمع إلا صوت خرير ماء العيون يأتي من بعيد لطبيعة الوضع في الواحة.

فيسمع فيها صوت خرير الماء طيلة الوقت دلاله على كثرة العيون وتدفق مائها طيلة النهار والليل، وبعد مرور أكثر من ساعتين وقبل وقت الفجر بدقائق يشعرون بذئب يقترب شيئاً فشيئا ويتربص على الأرض ويفرد جسده بأكمله على الأرض مع إنتصاب ذيله بشكل افقي دلالة على استعداده للصيد ويقترب بضع خطوات ويثبت في مكانه.

و(هارون) ورجاله يتابعون من بعيد مع كتم الأنفاس والحراك وأشار بإصبعه لأحد الرجال بأن يكون هو صاحب أول طلقه ولكن ينتظر عند الإشارة.

ثم يشير لرجل آخر بأن يكون صاحب الطلقة الثانية في حاله عدم أصابه الطلقة الأولي الذئب .

واقترب الذئب أكثر فأكثر فأكثر وقبل أن تخرج أول رصاصه كان الذئب فريسه داخل الفخ المنصوب بطريقه رائعة وهنا أشار (هارون) لخروج الرصاصة فأصابت الذئب وصدر منه عواء شديد ضرب صداه الأجواء المفتوحة.

وبدأ الرجال في الإقتراب نحوه ممسكين ببنادقهم في وضعيه الإستعداد حتى اقتربوا من مكان الذئب فرأوا الذئب في وضعيه الإنكماش وهذا يدل على الخوف فضربه أحدهم برصاصة أخرى قضت عليه ونظروا للخلف رافعين بنادقهم إشارة (لهارون) بالإنتصار، وقبل حتى أن تكتمل الفرحة فقد ظهر من الفراغ قطيع من الذئاب يهاجم الرجال.

فقال (الحفار):

- هو ده اللي عملت حسابه،الباشا كان بينادي العيلة قبل ما يموت يتحدث على طريقه عواء الذئب أنها كانت استغاثه وليست بعواء عادي.

- نظر إليه (ربيع) وحدثه بغضب قوم يا مخبول إنت .

إنت لسه ها ترغي؟

وسادت حاله من الخوف والفزع والرعب بين الرجال وبدئوا بالهرولة والجري والصراخ وضرب النار عشوائي ولإنقاذ الموقف اخرج (هارون) شيء من سياله الجلابية وفي أقل من اللحظة جذب الفتيل وألقاها خلف الرجال بمسافة فكان مع صغر سنه إلا أنه كان يمتاز بقلب ميت لا يهاب شيء.

فانفجرت القنبلة خلف الرجال ومن شده الانفجار اختفي قطيع الذئاب من خوفهم من شده النار وصوت الانفجار.

ودوي صوت الانفجار في كل الواحة مع صوت الصدى.

وتردد الصدى مراراً وتكراراً وبدأ (هارون) بمناداة جميع الرجال كلاً بإسمه ليطمئن عليهم فأجابوه جميعا ماعدا (سعد البرنجي) وهو أول رجل تقدم للفخ وأطلق الرصاصة الثانية على الذئب.

فعند هجوم القطيع انقض ذئب منهم على كتفه وفصل نصف الرقبة عن الجسد بعضة واحدة.

وعندما رأوا منظر (البرنجي) غارقاً في دمه فبدأ (الحفار) باللطم على وجهه ظل ينادي:

- (سعد). (سعد) قوم يا أخوي.

فكان (سعد) صديق (الحفار) عمره كله.

وبدا على وجه(ربيع) نظرات الخوف لما يحدث ونظر لهارون فوجده ينظر (لسعد) وشارد الذهن ويربت بيده على ظهر (الحفار) ليرأف بحاله ويهون عليه .

فنظر (الحفار). (لهارون) وقال :

- قلتلكم بلاش.. بلاش اليوم الأغبر ده.

- أنا كنت حاسس باللي ها يحصل

تعرفوا إنتوا إيه عن الديابه وحياتهم روحوا منكم لله.

ونظر (هارون) لباقي الرجال وأمرهم بحمل (سعد) على السيارة والانصراف، فحملوه جميعاً ووضعوه في صندوق السيارة وتلطخت ملابسهم جميعا بالدماء فانصرفوا بالسيارات وتركو خلفهم كل شيء ٣ ذئاب قتلي وكل أدوات الصيد.

وعادو للبلدة التي كانت تبعد أقل من ٣ كيلو مترات.

وعند وصولهم وجدوا (الشيخ فالح) ينتظر أمام الجأمع القديم مع مجموعة من الرجال يتساءلون فيما بينهم عن مصدر صوت

طلقات النار وصوت الإنفجار ولا أحد يعلم شيء إلا عندما وقفت السيارات أمامهم وخرج (هارون) (وربيع) متقدمين نحو (الشيخ فالح) وخلفه الرجال يحملون جثة (سعد البرنجي) غارقا بدمائه.

بدا الجميع بالهمهمة:

- لا حول ولا قوه إلا بالله .

- لا حول ولا قوه إلا بالله .

ولكن (الحفار) ما زال بصندوق السيارة شارد الذهن وعينيه مغرورقه بالدموع ولا يقوي حتى علي الوقوف والنزول.

تنهد (الشيخ فالح) وبدأ بالحديث موجها كلامه (لهارون) مستخدما يديه ببعض الإشارات ونبرات صوته العالية معبراً عن غضبه.

- تاني يا (هارون) .

أنا مش منبه عليك قبل سابق ما تستعمل سلاح في الواحة؟!

- أصل يا عمي.

(شيخ فالح) مقاطعا بغضب:

- إنت خليت فيها عمي ولا خالي ذنبه إيه الغلبان ده؟

وذنب عياله إيه؟

يتيتموا ليه؟

شكلك مش ناوي تجيبها لبريا ابن (الشيخ شمس الدين).

اللي عاش ومات رافع راس الواحة كلها لفوق.

- يا عمي الشيخ أصل.

يقاطعه مره أخرى (الشيخ فالح):

- لا أصل ولا فصل.

يتجه بنظره (لصالح) موجها له الكلام:

- روح يا ولدي المندرة كلم النقطة والوحدة الصحية عشان المعاينة.

ربنا يعديها علي خير وينظر للجهة الأخرى.

يتحدث مع شيخ المسجد (الشيخ سليمان).

- ابعت حد يا شيخ (سليمان) يجهز له كفن ويجهز المدفن.

ويجهزوا المرحوم

على ما نشوف اخرتها إيه.

على ما ابعت (أم صالح) تبلغ مراته باللي حصل.

يعود ليحدث (هارون) و(ربيع)

- وأنتم حسابكم معايا بعدين.

نكرم الراجل اللي قابل ربه الأول وبعدين أفضى لكم.

ويظهر في وسط الجموع عريس اليوم فينظر إليه (الشيخ فالح) ويتحدث إليه مباشره.

- ارجع لبيتك ولزوجتك يا ولدي ذنبك إيه نخرب عليك يومك؟

فيجيبه (معاذ):

- ده كلام برضه يا عمي ازاي اسيبك في ساعة زي دي؟!!

- معلش يا ولدي العمر طويل قدأمك.

طيب خد راجلين معاك ودخلوا عمك سعد الجامع وغطوه بشي على ما نشوف ها نعمل إيه.

ويبدأ (هارون) و(ربيع) في الانصراف ببطيء .

(الشيخ فالح) موجها كلامه (لهارون):

- (هارون) ويقولها بحده وغضب.

- تقعد في بيتك متتحركش أول ما بعتلك تكون قدأمي في الحال.

فينظر مستحيا إلى الأرض ويجيب:

- حاضر يا عم الشيخ ويبدأ في السير.

ويسأل (ربيع). (هارون) بنبرات يملاها الخوف.

- روحنا في داهيه يا (هارون) خلاص كل شيء راح؟

يجيبه هارون:

- راح إيه! يا أهبل إنت.

أمسك نفسك الموضوع كله أن طبيب الوحدة ها يطلع التصريح ويندفن ومش أول مره يعني ديب يقتل حد في الواحة .

ولا هي دي أول مره؟

- لا يا (هارون) بس أول مره يبقي فيها رصاص وقنابل والليلة دي.

- أمسك نفسك أمال يا (ربيع) متوديناش في داهيه اثبت واحكي اللي حصل من أول الصيد وبس.

ومتخافش وأنا معاك وبعدين أنا المسؤول عن كل شيء ما تخافش والرجالة كلهم ما يعرفوش حاجه غير اللي شافوه.

- فيسأل طب والسلاح يا (هارون)؟

- السلاح كله مرخص.

إنت نسيت؟ اهدي أمال وبطل نواح مثل الحريم.

- يضع (ربيع) يده على فمه اهه اهه سكتت.

(هارون) يصل أمام منزله فينظر(لربيع) ويقول :

- روح غير الجلابية دي ونصف ساعة وتكون عندي هستناك بالبيت .

وينصرف (ربيع) ويدخل (هارون) بيته لتغيير ملابسه ولا يظهر على وجهه أي معالم قلق أو خوف مما حدث ....

وكما توقع (هارون) بعد حضور ضابط النقطة وسماع الشهود

وتقرير الطبيب صدر قرار الدفن بأنها حادثه طبيعية لما يحدث في المنطقة منذ القدم، فقتل ذئب لشخص من أشخاص الواحة ليس بالجديد لطبيعة الوضع هناك وحدوث مثل هذي الحوادث المشابهة كل فتره.

ولكن الضابط كان من الناحية الأخرى يريد كتابة محضر اثبات حاله بوجود قنبلة مع (هارون) وسبب الإنفجاروأنه غير مصرح لأي أحد استخدأم مثل هذه القنابل ولكن بعد كلام (الشيخ فالح) مع ضابط الشرطة:

- متنساش يا (رأفت) بيه أن برضه (هارون) هو السبب في انقاذ الباقين.

والقنبلة مضرتش بل نفعت ولولاها ما كان الباقين احياء.

ولقوه شخصيه (الشيخ فالح) ومعرفه الجميع عنه بالعدل والحكمة بين الناس وحبهم الشديد له تغاضي ضابط الشرطة عن موضوع القنبلة.

وانصرف الجميع وجهزوا جثة سعد البرنجي للدفن.

وأرسل (الشيخ فالح) لكبار شيوخ مجلس القرية للإجتماع الفوري لمناقشه الحادثة وعقاب (هارون).

وأخبرالجميع بالحضور بعد صلاه المغرب في اليوم التالي، ويجتمع شيوخ القرية بالفعل عند منزل (الشيخ فالح) وهو يتوسطهم، وبحضور (هارون) ضمن الجميع، كان قرار (الشيخ فالح) واضح وصريح دون حتى مناقشه الوضع.

فكان قد اتخذ العقاب ضد (هارون) وبدأ بالحديث لجميع الحضور:

- اسمحوا لي يا جماعة المرة دي، مش محتاج لجمع الآراء،عشان

بعد كده أي مخلوق يفكر يطلع يصطاد تاني يبقي هو المسئول عن نفسه ،إحنا مش كل شويه ها يموت لينا حد بسبب الصيد.

ويا ريته بيفيد لا ده إحنا بنقتل روح ملهاش ذنب ربنا خالقهم لغاية.

وإنت يا (هارون) جنينه الموالح القبلية تبقي تتنازل عنها لولاد سعد الله يرحمه ويسأمحه.

ويجيب (هارون) معترضا على القرار:

- جنينه إيه دي يا شيخ اللي هتنازل عليها؟!

ده المرحوم ذات نفسه لو عاش ١٠٠ سنه ميعرفش يشتري ربعها

يغضب (الشيخ فالح) بشده ويقول:

- المرحوم لو عاش ١٠ سنين كمان كان وصل عياله لبر الأمان مش محتاج ١٠٠ سنه.

إنت عمرك ماهتعرف يعني إيه أم وأطفال ينأموا من غير اللي بيحميهم من غدر الزمن والجوع، حتى لو داخل عليهم بشويه نابت برضه اسمه الأمان .

أنا قراري صدر واللي أقوله ها يتنفذ .

فبدأ الجميع بالهمهمة والتحدث.

- ربنا يحميك يا شيخ فالح.

- والله عندك حق.

- ربنا يجعله في ميزان حسناتك.

وهنا أيقن (هارون) أن الريح والموج أقوى منه فسلم للأمر الواقع وأجاب بنبره لا يكاد يسمعها الجميع:

- اللي تشوفه يا شيخ.

ثم انصرف؟

ويظهر (هارون) وهو يدخل منزله وعلي وجهه معالم الغضب والتذمر، ويجلس على الكنبة ويشعل سيجاره وينفث دخانها بغضب عارم.

وتنظر إليه (رقيه):

- حكم عليك بأية (فالح)؟

يجيب بنبره عالية:

- عاوزني اتنازل لعيال (سعد) عن الجنينة القبلية.

- هه ده اتجن خلاص وخرف باين عليه.

جنينه إيه دي اللي عاوز يديها (لليلي) وعيالها؟!!

وإنت .... أوعي تكون نأوي تسمع كلامه!

وترمي ارضك وارض أبوك.

- عوزاني اعمل إيه يأما؟

سيبيني بالله عليكي ومقأم السنوسي منا ناقص .

لييه روقه الشيخ فالح.

واللي يروح اليوم يا أم (هارون).

يبقي اخره غروب شمس ويرجعلي تاني مع الشروق الجديد.

- مبقتش فاهماك يا (هارون) اتغيرت يا ولدي.

.اتغيرت!

اه اتغيرت يا أم (هارون).

مش كنتي عوزاني إنتي وأبوي ابقي الكبير.

شويه بس يا أم (هارون) وها تشوفي ولدك كبير الواحة.

وكل إلي جنب الواحة بجبالها. بعيونها.

برمل الصحراء هيكون تحت طوعي.

اصبري بس شويه يا أم (هارون).

تنظر إليه رقيه بنظرات يملاها الخوف
.بدأت أخاف عليك يا (هارون) عينيك اتغيرت يا ولدي.
يجيب (هارون) باستهزاء لما سمع من (رقيه):
- هههه اتغيرت ازاي يعني بقت زرقاء؟
.لا يا ولدي مبقتش زرقاء بقت حمرا.
حمرا كيف النار اللي تأكل نفسها يا ولدي لحد ما تصير تراب.
بلاش يا ولدي بلاش يا (هارون).
ارجعلي (هارون) بتاع زمان وخليك جاري يا ولدي .
أنا أموت لو جرالك شيء .
يجيبها (هارون) باستخفاف:
.زماااان!!
زمان راح يا أم (هارون) إحنا في النهاردة.
لا الزمان بيعود ولا شيء يفضل على حاله.
والحياة مهما طالت اخرها الموت.
والموت واحد يا أم (هارون) ومكتوب .
كله في الآخر موت متخافيش يا أم (هارون) أنا عمري طويل طوييييل قوي.
- يا رب يا ولدي يا رب أعيش واربي وأكبر في عيالك .
- قريب يما قريب ها أملى عليكي البيت عيال.
هانت يا أم هارون .
هانت قوي.

الفصل الرابع

بينما كان الجميع يشغلهم الحدث الحزين بالواحة، كان حدث آخر مثير يحدث في الواحة بدون علم أحد فبعدما ذهب (صالح) ليكلم طبيب الوحده والضابط المكلف بنقطه الشرطة فذهب مع أمه لمنزل (سعد البرنجي) في أطراف البلدة على تلة صغيره باتجاه الصحراء ليخبروا زوجته بما حدث .

وعندما كان (صالح) ينتظروالدته خارج منزل (سعد) فوجد أمام عينه شيء صغير يحاول صعود بعض الصخور والرمال في الجهة المقابلة للمنزل فإذا به جرو صغير لونه رمادي وبه بعض الشعر الأسود المتفرق في جسده ويحيط بفكيه وتحت الرقبة شعر كثيف بلونه الأبيض الثلجي فلفت إنتباه (صالح) لجمال شكله.

وبين لحظات تفكير قرر (صالح) اخذ هذا الجرو ليرعاه ويكون صديقه.

فطبيعة الحال الواحة تملاها الكلاب هنا وهناك.

ويتعايشون بين سكان الواحة بكل اريحيه.

وكان (صالح) يميل لحب الحيوانات وكان من أحلامه تربيه كلب في المنزل ليؤنس وحدته .

ولكن (الشيخ فالح) اعترض أكثر من مره وذلك لفكرة نقض الكلاب للوضوء وبعض الأفكار من هذا القبيل مع انه كان أكثر سكان الواحة رأفه بالحيوان فكان صاحب مبدأ أنها روح من عند الله وان الله خلقها لغاية.

فذهب (صالح) بخطوات ثابته ناحية الجرو الصغير الذي لا

يتعدى عمره الشهر ونصف ليداعب رأس هذا الجرو بكفيه بكل حنان فشعر (صالح) عندما لمس هذا الجرو بقشعريرة تسري في جسد الجرو تدل على الخوف فنظر يمينا ويسارا لعل وعسى يري أمه أو أي كلب بالمنطقة، فلم يري شيء .

وعندما صدرت صرخة من منزل (سعد البرنجي) عندما علمت زوجته بالخبر زاد خوف الجرو أكثر مما كان فحمله (صالح) واحتضنه واستمر بمداعبة رأسه حتى هدأ ونام.

وخرجت أم (صالح) من منزل (سعد) تاركه خلفها بكاء وصراخ وعويل.

ووجدت (صالح) يحتضن هذا الجرو الصغير.

- إيه ده يا صالح .

- شفتي يا أما جميل ازاي ؟

- روح يا ولدي حطه في أي مكان لينقض وضوئك .

ليكون أمه بتدور عليه حرام يا ولدي.

- والله يا أما بصيت في كل مكان مفيش صريخ ابن يومين.

هاخده معايا ياما وأنا هاربيه إنتي عارفه زين أنى كان نفسي أربى كلب بصي بصي ياما شكله حلو ازاي؟

- يا(صالح) مش عوزين مشاكل مع أبوك يا ولدي إنت عارف أبوك مش ها يوافق على القصة دي.

- معلش ياما ومقام(النبي) ما تردي طلبي.

ياما أنا عايش وحيد طول الوقت.

وحتى(فارس) الوحيد اللي يؤنسني بشوفه كل كام يوم .

اهو على الأقل حاجه تشغلني.

- طب وأبوك يا (صالح) ها تقوله إيه؟

- مش ها أقوله ياما ها اخليه في الغرفة القبلية وأبوي في عمره كله مدخلهاش ٣ أو ٤ مرات ومش ها اخليه يطلع خالص.

- إنت حريا (صالح) اعمل اللي على كيفك .

بس أنا مليش دخل بأبوك لو عرف.

- متخافيش ياما أنا ها تصرف ومش ها اخليه يشوفه.

- إنت حر، يالا عشان نرجع يومنا لسه طويل يا ولدي.

ويعود (صالح) وقبل أن يقترب من المنزل اتخذ طريق آخر ليصل للغرفة التي تقع خلف منزلهم ودخل ووضع الجرو هناك ووضع عليه غطاء من الصوف وتركه ووضع قفل حديدي علي الباب وذهب ليستكمل اليوم الطويل مع أبيه.

وعندما ذهب الجميع وانصرف الحضور ذهب ليطمئن على صديقه الجديد.

ودخل الغرفة بهدوء فوجد صديقه يتخذ ركن من أركان الغرفة ويرقد به وكأنه قطعه حجر زائده من الجدار من شده التصاقه ودخوله بالركن وانكماش رأسه بين قدميه فذهب(صالح) وحمله بين يديه وبدأ بالحديث معه.

- إيه مالك خائف؟

متخافش أنا من النهارده هبقي أخوك وأبوك وأمك وكل شيء.

محدش ها يقدر يمسك بسوء، إنت في بيت (صالح) ابن (الشيخ فالح).

عارف مين هو (الشيخ فالح)؟ بكره تعرف .

اسميك إيه بقي يا جميل إنت عارف أنا سعادتي بيك لا توصف.

عاوز اسميك اسم كده يديك كده قوه وهيبة ويفضل معاك طول الزمن.

إيه رأيك اسميك صقر؟

ولا اسميك مناع؟

ولا نسر؟

إيه مش عاجبك ولا اسم من دول؟

طب اديني إشارة عشان افهم؟

وينزل (صالح) الجرو على الارض ويجلس أمامه ويكمل حديثه طب بص أنا هقولك أسماء والإسم اللي يعجبك هز ذيلك ولا هوهو ولا اعمل أي حاجه.

وبدأ (صالح) وكأنه في حصة لغة عربيه بإلقاء الأسماء على آذان الجرو الصغير مثل (ضرغام) (وصقر) (وحائل) (وشلهوم) حتى اتجه الجرو مره أخرى لركن من أركان الغرفة وجلس تحت حجر من حجارة (الكرشيف) الملقاة في ركن الغرفة واستغرب صالح رد فعله

ولكن في لحظه تركيزوتأمل للحجرفقال بصوت عالي بس لقيتها!

إيه رأيك في(كرشيف)؟

اسم الواحة كلها تعرفه وبيوت الواحة كلها مبنيه منه وواقفة زي الجبل بقالها آلاف السنين والله احسنت اسم مختلف ويصدر في هذه اللحظة صوت وأنين من الجرو بطريقه اراديه غير مقصودة

- فاعتبرها(صالح) موافقه منه على الإسم فقال خلاص من اليوم إنت (كرشيييييف).

وذهب(صالح) للجرو وحمله مره أخرى وبدأ بسؤاله

- بص بقي إيه مش جعان؟
اجيبلك إيه عيش ولا رز؟
ولا بتاكل إيه؟
منا أول مره أربى كلب بس على ما أظن إنت ممكن تكون لسه بترضع هسيبك خمس دقائق بالضبط أشوفلك فخاره لبن وأرجعك.

وبالفعل ذهب (صالح) للبيت وعاد يحمل بيده أناء فخار كبير الحجم، ممتلئ باللبن وطبق صغير وبدأ بوضع القليل بالقليل في الطبق من اللبن.
وبدأ الجرو في شرب وتناول اللبن بسرعه يدل على عطشه وجوعه الشديد.

جلس (صالح) أمامه يتأمله ويداعب الجرو بيده على رأسه وعلي جسده بكل حب وتأمل وسعادة وكأنه أمتلك الدنيا وما فيها ولم يعلم(صالح) الغيب وما يخفيه المستقبل وما هي طبيعة هذا الجرو الذي وجده واتخذه صديق.

وهناك مازالت القصة لم تنتهي بعد في جبل الدكرور بعد حمله صيد الذئاب والقنبلة التي فجرها (هارون) بينهم وهربت الذئاب وتفرقت بطريقه عشوائية وموت ثلاثة منهم بعد لحظات قام قائد القطيع بالعواء اكثر من مره كل مره كانت لا تذيد علي ال ٨ ثوان وكأنها نوع من أنواع النداء للتجمع فيظهر القطيع وهو يتجمع حول المنطقة الصادر منها الصوت وتجمعوا حول القائد وكأنهم في كتيبه حربيه يأدون التمام للقائد وهنا ظهرت أنثي القائد وهي تمسح

جسدها بجسده وتتلفت في حيره حولها بنظرات سريعة هنا وهناك وكأنها تبحث عن شيء ففهم قائد القطيع ووضع جبينه مقابلا جبين أنثاه فيما معناه مواساتها علي مصيبتها فقد فهم النظرات الحائرة لزوجته.

وأصدر نوعا من العواء وبدأ بالسير وباقي القطيع من خلفه حتي وصل لقطيع ذئاب آخر من نفس الفصيلة يعيش في مقابر جبل الموتى ووقف علي بعد بعض عشرات الأمتار وبداء بالعواء وكأنها طريقه استئذان لعبور ودخول حدود القطيع الآخر لأنه من المعروف في مملكة الذئاب أن كل قطيع يضع حدود للمكان الذي يعيشون فيه ولا يستطيع أي ذئب غريب أن يعبر هذا الحد وبعد الاستئذان جاءه الرد بعواء من الطرف الآخر ومن الواضح انه سماح لهم بالعبور فدخل القطيع الهارب جبل الموت يسيرون بخطوات هادئة والقطيع الآخر يقف صفين كسريه دفاع حتي وصلوا لقائد قطيع وادي جبل الموتى وتقابل القائدان وصدر بينهم بعض الأصوات والغمغمة وكانه لغة فيما بينهم وكانه يشرح ماذا حدث لهم.

والتفت قائد القطيع الهارب لأفراد قطيعه وأصدر نوعا اخر من العواء فبدأوا بالاختلاط بباقي الذئاب الأخرى وكأنه اعطاهم الاذن بالبقاء

ثم نظر لأنثاه وبداء بمسح جسده بها والسير باتجاه الطريق الذي اتي منه وهيا تسير بجانبه وتبدأ رحله البحث.

ولكن البحث عن ماذا!

وأين؟

حتى وصلوا لمكان الحادث

فتوقفت الأنثى أمام جثث الذئاب الثلاثة وتنظر لهم بنظره حزن وحسره علي بني جنسها القتلى وهنا يقترب زوجها ويمسح الجبين بالجبين مره أخرى ويلتف حولها أكثر من مره مع مسح رأسه في جسدها دلاله على المواساة والطمأنينة.

ويبدأون في الابتعاد عن المكان والجثث وبدايه رحله البحث فبدأ كلا منهم بمد أنفه للأرض واستعمال حاسة الشم القوية لديهم والسير في طريق معين بخطوات منتظمة وكأنهم يسيرون خلف دليل متروك لهم.

ويأخذهم الطريق حتى حدود البلدة وبالتحديد عند التل الصخري الذي أخذ (صالح) من فوقه الجرو الصغير.

ثم استداروا للخلف ورجعوا في نفس الطريق لخوفهم من أن يراهم أحد والأخص بعد شروق الشمس فأصبحوا واضحين للعيان.

رجعوا لجبل الموتى ووجهم عليه ملامح الحزن والأسي فاتخذوا فتحه ممن فتحات جبل الموتى واستلقوا فاردين أذرعهم أمامهم.

واستمر الذكر بمسح رأسه في جسد انثاه ولعق راسها وجسدها حتي تهدأ.

وكان جبل الموتى يبعد عن البلدة بحوالي كيلو متر تقريباً من المنطقة البحرية للواحة وهو عبارة عن تل مخروطي الشكل يبلغ ارتفاعه ٥٠ مترا ذو تربه جيريه وله منظر عجيب من أسفله لأعلاه عباره عن مقابر للموتى علي شكل خليه النحل ومنحوتة في الصخر من أسفل إلي أعلي في صفوف منتظمة وطبقات متتالية بنظام

هندسي مشابه لنظام بناء الواحة القديمة نفسها وهذه المقابر تسير للداخل بعمق كبير وكل مقبرة عبارة عن دهليز مستطيل الشكل ينتهي إلي فناء متسع مربع الشكل ومن هذا الفناء تتفرع جمله فتحات أو مقابر لوضع الموتى بها.

وينزل إليه بسلم بدرجة أو اثنين ولا يزال على الحوائط بقايا كتابات مصرية قديمة وهي مماثله تمام للكثير من المقابر المنتشرة علي ساحل ليبيا من العصر الروماني.

وكانت هذا الوقت يسكن به قطيع من الذئاب وذلك لكثره الغرف والفتحات التي يمكن الاحتماء بها.

دخل الليل علي جبل الموتى وأخذ الذئب انثاه مره أخرى لاستئناف رحله البحث وكان منصف الليل يوشك على الاقتراب أي انه لا يوجد في الواحة من يسير الشوارع لا ذهابا ولا إيابا ولا يوجد أو يقترب أي وقت للصلاة كلا في منازله فكان وقت مناسب للاقتراب من حدود البلدة. والطواف من حولها بهدوء وتربص على حدودها لبعض الوقت في الظلام ليبحثوا عما فقدوا.

وكان من مميزات منزل (الشيخ فالح) أن منزله يحيطه الفراغ من كل اتجاه فيمكنك من أي اتجاه ومن بعض الزوايا أن تري الصحراء وبعض الجبال الموجودة بعيدا في الصحراء وكان هناك الباب لتلك الغرفة الخلفية الموجود بها (صالح) بن (الشيخ فالح) وبيده هذا الجرو الصغير يحاول جاهدا إطعامه بعض الحليب ولكن يبدو أنه لم يغلق الباب جيدا فاخترق نظر الذئب الغرفة واستطاع أن يري من كل هذه المسافة.

فالذئاب تتسم بحده النظر واستطاع أيضاً أن يري ما

يفعله(صالح) مع جروه وظهرت علي وجه الذئب معالم الفرحة والسعادة واستمر بهز ذيله كثيرا كما تفعل الكلاب عند احساسها بالسعادة لعثوره علي جروه علي قيد الحياه وتسمرت عينا الذئب الاب مع انثاه علي ما يشاهدون فجروهم الصغير يحمله شخص من بني البشر ويحنو عليه يلتفون حول انفسهم تارة ويعودون للنظر (لصالح) والجرو تارة أخرى لا يدرون ماذا يفعلون هل ينقضون علي (صالح) ويأخذون ابنهم ويمضون قدما، أم يتركوه هناك مع ذلك الشخص الذي يطعم ابنهم ويحنو عليه وبعد تعمق النظر والالتفاف حول نفسيهما بطريقه دائريه اكثر من مره مسح الذئب رأسه في رقبه انثاه تصاعدا لرأسها وقررا الانصراف.

ولكن الاغرب من ذلك فهل أدرك (صالح) أن الذي يحمله ليس بجرو كلب كما يعتقد وأن هذا الجرو ما هو إلا ذئب صغير فقد قطيعه في غاره قاسيه عليهم، وماذا سيحدث في القريب العاجل حينما يمضي بضعه شهور وتتغير ملامح الذئب وخروج انيابه وهل إن علم (صالح) بانه ذئب سيكمل فيما يفعله.

كثير من الأسئلة تطرح علي العقل ولا يوجد اجابه عليها لان الإجابة الوحيدة التي نعرفها أن (كرشيف) مازال ابن ال سبع أسابيع....

واستمر (صالح) كل يوم على هذا المنوال كل صباح يذهب ويختفي مع (كرشيف) في الغرفة يطعمه ويسقيه ويلعب معه ويحنو عليه ويحدثه أحيانا.

.تعرف يا (كرشيف) أنا بقالي كام يوم مشفتش حد ولا بتكلم مع حد غيرك حتى أبوي (الشيخ فالح) بشوفه بس وقت الغداء.

حتى أمي كل يوم تقولي قول لأبوك يا(صالح) على الكلب.

وأنا بصراحة يا (كرشيف) خايف أقوله.

أصل إنت مش فاهم.

(الشيخ فالح) مش بيكره الكلاب ولا الحيوانات عموما.

ودايما يتكلم أن ربنا خلق كل حيوان لغايه حتى كل المزارع اللي حوالينا مربين كلاب عشان يحموا المزارع من الديابه والثعالب لكن أبوي لا.

محاوط كل مزارعه بأسوار عالية ومعين عليهم رجاله يشتغلون فيها ويحرسوها.

وطول الليل مولع كهارب على السور عشان مفيش حاجه تقرب منهم.

تعرف مين اللي ها يفرح جامد إنك موجود؟

(فارس) لأنه كان نفسه برضه يربي كلب بس الظروف مش مساعداه ما بين شغله والمذاكرة ها يجيب وقت منين يربي كلب.

لكن أنا حظي حلو.

وقت ومفيش اكتر منه.

زي ما إنت شايف.

إنت مش بتآكل ليه؟

اللبن مش عاجبك؟

إنت من امبارح مشربتش لا لبن ولا ماء!

زعلان إنك محبوس؟

ولا انفطمت إنت ولا إيه؟

ما أنا مش فاهم.

وعشان اعرف أربيك ازاي، يبقي لازم اسأل حد من الناس اللي تربي كلاب في الواحة.

وأخاف حد فيهم يقول لأبوي!

طب اسمع إيه رأيك نطلع نغيرجو..استني راجعلك.

يدخل ناصر علي أمه ويدور حديث مطول بينهما.

- فين الشيخ ياما؟

- أبوك راح مزرعة الزيتون يشقر عليهم ويشوف محتاجين شيء ولا لا عشان احتمال يسافر بالمحصول كمان جمعه.

- هوراح ماشي ولا أخذ الكارته؟

- لا ماشي على رجله.

إنت عارف أبوك ميحبش يركب الكارته كتير.

بتسأل ليه يا (صالح)؟

- لا بفكر أخد الكارته واتمشى شوي.. يعني أغيرجو.

- ماشي يا ولدي .

وينصرف (صالح) لتحضير الكارته ويسمع صوت أمه مناديا عليه :

- (صالح) (صالح).

- نعم يا أما .

- إنت مفطرتش يا ولدي اسويلك فطار.

- لا ياما مليش نفس.

- طيب استني.

- فيه كبده باقيه من امبارح عاملاهم لك ساندويتشين خدهم معاك.

يمكن جو الكارته يغير مزاجك وتجوع .

- مش عاوز يا اما.

- بالله عليك تستني.

- اهو يا اما بس بسرعه.

ويأخذ صالح من أمه ورقه جريدة قديمة ملفوف بداخلها خبز وبه بعض الكبدة ويمضي قدما.

وينادي (صالح) أحد الرجال الموجودين لحراسه المنزل.

وذلك لان منزل (الشيخ فالح) به شونه كبيره لتخزين الغلال ومحصول التمور والزيتون والفاكهة وخلافه من المحاصيل لحين تجميعها وتحضيرها وبيعها.

- (شعبان) حضرلي الكارته بالله عليك على ما جيلك؟

فيجيب شعبان بسرعه:

- عينيا يا أستاذ صالح.

ويتجه صالح للغرفة القبلية ويبدأ في حمل كرشيف بين زراعه.

ولكن قبل خروجه من الغرفة تذكر إن رآه أحد فسيخبر الشيخ فالح، فوجد سبت مربع مصنوع من الجريد بجوار باب غرفته يستخدمونه أهل القرية بعض الأحيان لنقل الطيور فيما بينهم ففكر قليلا ووضع كرشيف داخل ذلك السبت وبجواره لفه الطعام قام بتغطيته بقطعه من القماش القديمة وحمل السبت بين يديه ليضع السبت داخل الكارته ويشكر شعبان ويشد لجام الحصان

معطيه الإشارة ببدء السير، ويمضي في طريقه يلقي السلام على بعض من سكان الواحة المارين بجواره هنا وهناك حتى يأخذ طريقاً مؤدي إلي قلعه (شالي).

ويصل بالكارته إلي القلعة ويربط لجام الحصان في عمود صخري أسفل سور القلعة، أخذ صالح السبت بين يديه وبدأ في الصعود بين ممرات القلعة حتى استقر على قمة سور من أسوار القلعة وبدأ بإخراج كرشيف من السبت فوجد مالا يتوقعه.

وجد كرشيف ممزق الخبز بالكامل وقد التهم كل قطع الكبدة التي أعطتها له والدته.

- فقال مبتسما والله كبرت يا كتكوت وطلعلك سنان.

كلت الكبدة؟

والله مش خسارة فيك ادعي بقي لأمك صفية اللي اتحايلت عليا إني آخد الأكل.

اه لو عرفت إنك إنت اللي أكلتها.. مش بعيد تبلك زي النابت.

وحمله بين ذراعيه ووضعه علي سور القلعة وبلمسات بسيطة بين فروه الكثيف كان يمرر أصابعه ويداعب عنقه ورأسه.

وكرشيف جالس علي قدميه الخلفية فارد ظهره وقدماه الأماميتان منتصبتان للأعلى ونظر إلي الصحراء الشاسعة ويستنشق الهواء مع صالح .

ويكمل صالح حديثه مع كرشيف:

- الله على المنظر يا كرشيف تعرف اهو أنا عمري كله في الواحة.

مفكرتش أقف الوقفة دي ولا حسيت بجمال المنظر ده طول عمري.

تعرف كمان يا كرشيف أن القلعة دي جدودي اللي بنوها في

القرن ال ١٢ ؟، كان بيعيش في الصحراء دي قبائل من كل شكل ولون واللي رايح واللي راجع كان يطمع في أهل الواحة وخيرها، عشان كده أهل الواحة زمان بنو القلعة دي عشان تكون لهم ساتر من أي حد يتعدى عليهم ويحتموا بيها وقت الخطر واسم المنطقة دي كلها شالي عشان كده اسمها قلعه شالي.

ومر قليل من الوقت وصالح وكرشيف يتأملان الصحراء والمنظر الخلاب .

ولم يشعر صالح بأنه مراقب فقد كان هناك من يراقب صالح من بعيد ويراقب تصرفاته مع كرشيف لحظه بلحظه.

نعم كان ذلك الذئب قائد القطيع والد كرشيف، كان يراقب صالح وكرشيف من فتره لأخري ليطمئن علي جروه الصغير وهل مازال في أمان أم لا ومع قلقه وحزنه على فقدان ابنه إلا انه كان مطمئنا لما يري من تصرف صالح مع ذلك الجرو.

ولكن اختلاف مشاعر الأمومة تلعب دوراً مختلفاً فكانت الذئبة تراقب وتتربص لاقتناص فرصه للانقضاض علي صالح واسترداد رضيعها منه، وبالفعل بدأت باتخاذ وضعيه الاستعداد للهجوم ومراقبه الطريق الواضح المفتوح للأعين ولا يوجد من يعيق هجومها علي صالح وبدأت في التحرك بخطوات بطيئة لاقتناص فرصه الانقضاض وهنا كان صالح اتخذ قراره بالانصراف فوضع كرشيف داخل السبت مره أخرى وحمله بين ذراعيه وبدأ بالنزول بممرات القلعة مغنيا «يا وابور قول لي رايح على فين».

ووصل للكارته ووضع السبت بها وبدء بالصعود وكان ظهره مكشوف بكل بساطه للغدر به وبدأت الذئبة اتخاذ وضعيه

الانقضاض وقبل أن تبدأ في الحراك وقف أمامها زوجها ليمنعها فقد كان له نظره أبعد، فكان الذئب هنا هو الأذكى وتصدي لزوجته حتى لا يخسر أي منهما.

وصعد صالح الكارته وشد لجام حصانه ليعود أدراجه حيث جاء.

ووصل صالح للمنزل ونزل من الكارته وتركها لشعبان حتى يفصل الكارته عن الحصان ويعيد كل شيء مكانه وأخذ السبت بين يديه وبدأ في السير في اتجاه الغرفة خلف المنزل وهنا تساءل شعبان:

- وإيه السبت ده يا أستاذ صالح.

يجيب صالح مضطربا:

- سبت؟ ده ده ده حمام باخدة أدربة على الطيران بعيد ويرجعلي تاني، ثم بدا بالهرولة بسرعه للغرفة.

- فيقول شعبان باستغراب حمام؟

حمام إيه ده اللي بيتغطي بقماش.

لولا إني عارف إنك ابن الشيخ فالح ومتربي قدامي كنت قلت إنت مخبي حاجه.

وهنا يظهر من بعيد الشيخ فالح قادماً إلي المنزل ممتطياً قدميه كالعادة فقد كان يحب المشي كثيراً.

وحينما رأي شعبان يسير وممسك لجام الحصان حتى يضعه في مربطه فسأله الشيخ فالح:

- رايح فين بالحصان يا شعبان.

يجيبه شعبان:

- ولا حاجه يا شيخ فالح ده كان أستاذ صالح بره بالكارته.

فينظر الشيخ نظره تملأها الغرابة ويسال:
- صالح من امتي صالح بيطلع بالكارته؟ ده عمره ما عملها.
فيجيب شعبان أيضا مستنكرا الفعل.
- والله يا شيخ فالح ما عارف أقولك إيه، أنا كمان استغربت لما طلبها
بس فيه حاجه تاني يا شيخ اغرب شوي.
ينظر إليه الشيخ سائلا:
- قول يا أغرب خلق الله متقلقنيش كان معاه حد ولا إيه؟
يجيبه شعبان ببروده المعتاد:
- لا مش بالضبط:
يعود الشيخ للسؤال ثانياً:
- مش بالضبط إيه كان معاه وحده؟
شعبان بنفس البلاهة:
- لا برضه مش بالضبط.
فيبدأ الشيخ فالح بالغضب البسيط فيقول:
- هو إيه اللي مش بالضبط مش بالضبط ما تنطق كان معاه إيه؟
- فيجيب شعبان متوترا ويشير بيده كان معاه سبت.
فيملأ وجه الشيخ فالح الغرابة ويقول:
- سبت! وإيه الغريب انه يكون معاه سبت؟
يجيب شعبان:
- لا هو مش غريب يا شيخ، بس الغريب أن كان فيه حاجه جوه السبت وأستاذ صالح كان مغطيها وهو خارج وهو راجع
ولما سألته قالي حمام.
فيتعجب الشيخ فالح أكثر.

- حمام! حمام إيه اللي بيغطوه ده؟

- فيقول شعبان مانا قلت كده برضه.

ينظر الشيخ فالح لشعبان ويقول تعرف يا شعبان إيه الحاجة الوحيدة اللي مش بحبها فيك؟

- فيقول شعبان أي أكيد شكلي.

يسرع الشيخ بقوله:

- لا استغفر الله الشكل ده بتاع اللي خلقه.

لكن لت وعجن الحريم بتاعك على الفاضي والمليان.

وسع عديني لما أشوف إيه حكاية الحمام دي.

ويدخل الشيخ فالح المنزل فيجد أمامه صفية في وسط المنزل تجلس على الكنبة وتتحدث مع عنود آخر بناتها فيلقي التحية عليهم.

- السلام عليكم كيفك يا صفية؟ ازيك يا عنود؟

- فتجيب عنود بصوتها الأنثوي الرقيق بخير طول ما إنت بخير يا بوي.

فتقوم عنود مسرعة بخطوات نحو أبيها حتى تنزع عنه عباءته وتدخلها غرفته وهنا يتوجه الشيخ فالح بالكلام لزوجته:

- أمال صالح فين يا صفية.

- فتجيب عليه بهدوء صالح قالي هروح أتمشى في الواحة شويه من الظهر.

فينظر الشيخ فالح للخلف مخاطبا عنود:

- خليكي جوه شويه إنتي يا عنود يا بنتي عاوز أمك في كلمتين.

ويظهر علي صفية ملامح التوتر وتعدل من جلستها وتسأل.

- خير يا شيخ فالح.

- فيجيبها خير يا صفية.

وهيا الواحة قد إيه يا صفية عشان يتمشى من الضهر وإحنا بقينا قرب المغرب ومتعرفيش ولدك فين؟

- واه متقلقنيش أمال يا شيخ فالح وتبدأ في الوقوف بملامح قلق .

صالح جرا له شيء؟

فيضغط الشيخ فالح علي كتفها للجلوس ويجلس بجوارها ويطمئنها.

- لا هو صالح بخير بس أنا اللي بسأل من أمتي صالح بيركب الكارته وراح فين من الضهر ولسه راجع؟

ويعني بقاله كام يوم يصحي يفطر ويختفي طول النهار بيظهر ساعة الاكل وبس.

وبياكل بسرعه ومتسربع ولا مش ملاحظه ابنك يا صفية؟

تتسع عيون صفية:

- فيه إيه أمال يا شيخ فالح إنت مخبي على شيء؟

وبعدين إنت عارف ابنك زين.

زينه الشباب العيبة ما تطلعش منه.

يكمل الشيخ بهدوئه المعتاد:

- يا صفية أنا لا بقول شينه ولا زينه وابني أنا عارفه زين يمكن اكتر منك، بس يعني في حاجه غريبه بتحصل وابنك متغير بقاله كام يوم وقاعد طول اليوم في الغرفة القبلية.

إنتي تعرفي حاجه ومخبياها يا صفية؟

- وتبدأ صفية بالتلعثم في الكلام وتقول اأنا لالا لا.

أنا لا أعرف شيء ولا شفت شيء.

فينظرلها الشيخ فالح نظره سؤال مع تحريك راسه أسفل واعلي وينظر مباشره لعينها.

- فتقول صفية وهيا تمسك بيده للإعتراف والرجاء في نفس الوقت والله ومقام الرسول قلتله بلاش يا شيخ فالح.

بس هو اللي صمم.

فيسأل الشيخ فالح:

- أيوه هو بقي صمم على إيه؟

تجيبه مسرعة:

- بصراحة يوم حادثه الجبل وأنا رايحه ابلغ ليلي باللي حصل لسعد صالح لقي كلب صغير ما شاء الله سبحان من صور وشبط فيه كيف العيال، وصمم يجيبه معاه، وقلتله والله قلتله يا شيخ فالح بلاش أبوك قال لا وهايزعل بس ولدك صمم يجيبه وحاطه بالغرفة القبلية ، وبس هي دي الحكاية.

يهز الشيخ فالح رأسه ويقول لصفية :

- بقي الحكاية كده والأستاذ قاعد طول اليوم مع الكلب ؟

وإنتي من أمتي بتخبي عني شيء يا صفية.

تنظر صفية بعينيها للأسفل.

- ومقام سيدي السنوسي كنت هاقولك بس كنت خايفه لتمشي الكلب وتكسر بخاطر صالح إنت مشفتش كان فرحان ازاي لما لقيه.

ينظر إليها الشيخ قائلا:

- وهو الموضوع ده مش خلصان من زمان يا صفية ومقلتيش لابنك أن مينفعش الشيخ فالح يدخل بيته كلب.

فتساله صفية:

- ومينفعش ليه يا أبو صالح واهو بصراحة ابنك عنده حق .

ومعرفتش أرد عليه .

فينظر لصفية بغرابه :

أول مره تقوليلي يا أبو صالح يا صفية وبعدين عنده حق فيه شيخ المستقبل؟

تجيب عليه صفية:

- هو قالي ياما أنا مش فاهم ليه أبوي معترض على الكلب وهو اكتر واحد في الواحة بيحط اكل للكلاب اللي في الواحة بكل مكان ورباني على أن كل حيوان ربنا خلقه لغايه وملناش إننا نعترض على شكل حيوان أو رسمه،لان شكل وطبيعة كل مخلوق ربنا جعلها صفه يخدم بها الكون والطبيعة فلله الحكمة في خلق مخلوقاته.

وازاي يعلمني ابقي رئيف بالحيوانات وهو بيبعد عن الكلاب طب أتعلم منه ازاي لما يقول لي حاجه ويعمل العكس.

- فيشرد الشيخ فالح بنظره قليلا ويقول سبحان الله جه اليوم اللي ها تعلم منك يا صالح وتردلي كلامي ؟!!

- فتقاطع صفية ومقام النبي عندك لتخليه يا شيخ فالح.

ابنك حاسس بالوحدة من زمان ومتنساش أن فارس من يوم ما اشتغل معاك مكان أبوة ومبقاش فاضي لصالح زي زمان.

حلفتك بالله لتسيبه، فرحان بيه ويعدي عليه الوقت.

وبتنهيده خفيفة يقول الشيخ:

- ونعم بالله خلاص يا صفية هخليه .

فتنظر صفية نظره رضا وفرح للشيخ وتردد ربنا يخليك لينا ربنا يبارك فيك.

- فيرد على كلامها ويقول بس على فكره أنا مش ها سيبه عشان إنتي حلفتيني لا.

أنا ها سيبه عشان صالح عنده حق مينفعش نعلم أولادنا شيء ونعمل عكسها يا صفية ابنك كبروبقي يعلم أبوة .

- فتتفاخر صفية بهذا الكلام وتقول أمال صالح متعلم ولسه بيتعلم وشيخ ابن شيخ.

فيضحك الشيخ فالح ويبتسم لتفاخر زوجته بابنها ويعود بضم حاجبيه مره أخرى وتزول الابتسامة ويتحدث بلهجة تحذير.

- بس اسمعي مش عاوز أشوف الكلب ده ماشي في كل حته.

قليله يخليه دايماً في الغرفة القبلية .

- فترد صفية بسعادة عارمه حاضر يا خوي حاضر هقوله ربنا يخليك ليه يا رب ويخليك لينا.

فيسال صفية سؤال خاطف يجعلها تهرول مره واحده:

- طب مش هنتغدي النهارده ولا إحنا صائمين ولا إحنا في رمضان والا إيه؟

تذهب مهروله للمطبخ وتردد حاضر حاضر ثواني.

وتنادي لعنود كي تتبعها للمطبخ .

فتخرج عنود متبعه صفية بخطوات سريعة كي تساعد أمها في تسخين الغداء.

وفي صباح اليوم التالي أخبرت صفية صالح بأنها أخبرت والده عن سره فارتاح صدره لأنه كان يشعر بالذنب لعدم معرفه والده بالأمر، وعندما رأي والده أمامه وشكره على موافقته ببقاء كرشيف

واستغرب والده وقتها اسم كرشيف ولكنه فكر لحظات في الاسم ونظر لصالح وقال:

- تصدق يا صالح اسم مميزوله معني والله ليك خيالك برضه يا صالح لا والمصيبة أن الكلب وافق عليه ربنا يكملك بعقلك يا ولدي

يقولها ويبدأ استقلال سيارته للتوجه إلي الإسكندرية لبضعه أيام ويوصي صالح علي المنزل وعلى والدته وأخته .

وهنا كان رفيق صالح يسمع الحديث بأكمله وهو ينتظر الشيخ فالح للمغادرة معه بعد أن أصبح يعمل مع الشيخ فالح ويدير حساباته والإشراف على كل شيء بدلا من والده الذي تقاعد بعد آن نال منه المرض وقبل أن يضع قدمه في كابينه السيارة مع الشيخ فالح تحدث مع صاحبه بسرعه بجملتين لا أكثر بنبرات عتاب وتوعد

- ماشي يا عم صالح بقي لك أسرار وكرشيف وخرتيت وأخوك فارس ميعرفش ارجع بس من مشوار الشيخ بالسلامة ولينا قعده.

ضحك صالح وسلم عليهم وتمني لهم سلامة الوصول والعودة وبدأ بالسير باتجاه غرفه كرشيف بعد مغادره السيارة.

الفصل الخامس

على بعد أكثر من ٦٠٠ كيلو متر من سيوه نجد جمال البحر ومتعه الرؤية والهدوء. بمعالمها الساحرة الجذابة، أنها بمثابة العاصمة الثانية لمصر المحروسة أنها استراحة الملوك والعظماء ومكتبه التاريخ التي يختلط بها الأجناس المختلفة ويعيشون ويتعايشون بكل أريحية وحب .

أنها عروس البحر المتوسط.

وفي شارع سعد زغلول الذي يعد من أقدم شوارع الإسكندرية توجد خماره الشيخ علي وسميت بهذا الاسم لأن الشيخ علي أول من أسس هذه الخمارة سنه ١٩٠٨ وكانت الخمارة أو هذا البار معروف بتاريخه وقدمه ومعالمه التي لم تتغير حتى بعد مرور ثماني عقود عليها .

وهناك كان هارون يجلس علي طاوله في منتصف البار يجلس ومعه ربيع وبعض الأصدقاء فقد ذهب إلي الإسكندرية بعد هدوء أوضاع الواحة بعد الحادث ليبيع بعضا من الذهب الذي ربحه من بيع بعض الآثار الموجودة بالواحة، والتي لعبت الصدفة دورها بأن تكون هذه الآثار في طريقه.

تظهر الطاولة وعليها أكثر من زجاجة بيرة وزجاجة أخرى من الخمور الفاخرة غاليه الثمن، ويجلس على الطاولة سته أشخاص من بينهم كان المعلم (الأقطش) وهو تاجر وموزع مخدرات وكان

صديق لهارون وسبب تسميته الأقطش أنه ولد بدون شحمة الأذن اليسرى وهي آخر قطعه في نهاية الاذن من الأسفل فلقب بالأقطش منذ صغره واستمر اللقب معه طليه حياته.

فكان هارون دائما عند وجوده في الإسكندرية لبيع بعض المحاصيل أو شراء أي احتياجات له أو لأي غرض ما لابد له من زيارة المعلم الأقطش لشراء بعض الحشيش له وقضاء يوما أو اثنين في المتعة والسهر وكان الأقطش معروف في الإسكندرية بأنه ملك المتعة بأنواعها فكان يبيع أي شيء ويتاجر في أي شيء يخص الكيف والانبساط ولكنه كان صاحب مبدأ فلم تكن الدعارة قسماً من أقسام عمله .

ويظهر الجميع وهم يرمون النكات والافيهات ويضحكون .

وصوت القهقهة يغطي علي صوت جميع من في البار.

وضع المعلم الأقطش كيس من الورق يشبه أكياس الفاكهة مغلق بإحكام فوق الطاولة أمام ربيع وهو يقول لربيع:

- المطلوب اهو بس إيه ها تعجبك. حاجه كده ملهاش مثيل.

ومعاهم تعميره واجب من أخوك لسه واصله من عند الشطين

فينظر ربيع وهارون ويغنيان في نفس واحد :

- وبين شطين وميه عشقتكم عنيا يا غاليين عليا يا آهل إسكندرية يا آهل إسكندرية.

ويضحك الجميع بصوت عال فكانوا جميعا في حاله الانبساط والفرفشة والأجواء العامة داخل البار كلها بالمثل:

- ويوجه ربيع كلامه للمعلم طب مفيش كده خدمه لأخوك حته طريه تهون علينا الوقت.

- فيجيبه المعلم مش عيب عليك ما إنت عارفني ماليش في الحرام دي مساله مبدأ.

نظر هارون للأقطش موجها له الكلام:

- مبدأ لا وإنت صاحب مبادئ .

بس يا رب ما تكونش بقي الحته دي زي المرة اللي فاتت يا بتاع المبدأ - قالها هارون بنبره عتاب.

فأجابه الأقطش مسرعا :

- ليه بس يا كبير طب ومقأم سيدي المرسى أبو العباس أنا بديك حاجه ما بيدقها غير ملوك وبشوات مصر.

فيقول هارون وهو ينفخ دخان سيجارته الأزرق:

- مقلناش حاجه بس شويه قوي على تمنها.

ينظر له الأقطش ويقول:

- طب والله يا هارون بيه الصنف شاحح قوي في السوق والدنيا مزنقه وكام طلبيه في شهرين رايحين فطيس والحكومة شده حيلها.

ينظر هارون نظره تفكير ويفتح عينيه ويهز رأسه ودام صمته لبضع ثواني ثم قال:

- إنت بتجيب منين يا اقطش؟

يجيبه المعلم:

- يعني ساعات لبنان ساعات المغرب ساعات ليبيا حسب الطريق والسكة وكل طلبيه ليها ظروفها.

يشير هارون لربيع بيده بالاقتراب وكأنه لا يريد أن يسمعه أحد فيقترب ربيع ليصبح الثلاثة رؤسهم تبدو متلاصقة ويقول هارون:

- واللي يدخلك طلبيه محترمه وبالحراسة تديله كام.

- تتسع حدقيه الأقطش ويقول اديله كام؟

اديله عمري بس مين اللي يقدريعمل كده يا هارون بيه؟
ده الدنيا مقفلة والكمائن كترت والدنيا ضيقه خالص.
يبدأ هارون بالحديث مره أخرى وتظهر عللي وجهه ملامح الثقة بالنفس وانه يعلم ما يقول:
- أنا يا اقطش... بس بشرط.
- يسرع الأقطش اشرط يا غالي وأنا رقبتي.
يبدأ هارون بسرد شروطه:
- أول شرط استلم من ليبيا وأسلمك في عجيبة.
«ويقصد هنا منطقه عجيبة في مرسي مطروح»
يجيب الأقطش مع هزرأسه يمينا بالموافقة.
وأنا موافق والشرط الثاني:
ويأخذ هارون شهيق ونفس عميق من سيجارته ويخرج الزفير مختلطا بدخان السيجارة في وجه الأقطش ويقول بكل ثقة:
- الشرط الثاني ابقي شريك بالنص.
فيجيب الأقطش بلكنه استغراب :
- مش كبيره شويه دي يا هارون بيه ؟!
يجيب هارون مستهترا بكلام الأقطش
- ويعني الشرط الأول هو اللي صغير؟ إنت عارف يعني إيه أمشيلك بيهم مسافة ٤٠٠ كيلو على الاسفلت؟
وهنا تقع الصدمة على آذان الأقطش ويقول بتعجب:
اسفلت!
اسفلت إيه ده يا هارون بيه اللي هاتمشي عليه البضاعة؟
أنا فاكراك ها تجيبها من البحر!
لا يا هارون بيه أنا مش معاك لا أول ولا تاني.

أنا كده يبقي برمي فلوسي وبدخل نفسي السجن وقتي.

يضحك هارون ويقول بسخريه:

- براحتك بس ساعتها متجيش تقولي ادخل معاك لأني هبيع لك بالسعر اللي أنا عاوزه.

- فيضحك الأقطش مستهترا هههأو ابقي قابلني.

وكان واقع كل هذا الحديث على أذن ربيع كالصاروخ فلا يفهم شيء ولم يستطيع التميز ما بين الجد والسخرية في الحوار.

وشرد هارون بذهنه وسرح بخياله وبيده سيجاره عاديه ينفث دخانها بكل هدوء ويشرب آخر قطرات خمر في كأسه ثم يبدأ في الوقوف دلاله على استعداده للانصراف.

- فيقول ربيع ما لسه بدري يا هارون خلينا شويه.

- فيجيبه بدري من عمرك الأيام جاية كتير عندنا مشوار أهم.

يالا قوم إنت لسه ها تبصلي؟!

ويشير بيده للجالسين سلام يا رجاله.

وبعد الانصراف يتحدث الأقطش مع أحد رجاله الموجودين على الطاولة -قال بري قال ويقولها باستهزاء على ثقة هارون.

يا عم خليك في البلح بتاعك.

وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل بقليل وعند خروج هارون وربيع من باب البار وقفوا أمام البار ليشعلوا سيجاره ويتحدثون فيما بينهم وبينما يشعل هارون سيجارته مغطيا لهيب الولاعة بيده اليسرى منحنيا برأسه قليلا لليمين فتلاقت عيناه مع أعين شخص

آخر كان ماراً من أمامه يجلس في كابينه سيارة ربع نقل واستمر تلاقي الأعين مع سير السيارة والتفاف رأس الشخص من داخل الكابينة للخلف متعمدا أن يخبر هارون بانه رآه.

فقد كان ذلك الشخص الشيخ فالح

كان بالصدفة في نفس الأسبوع سافر الشيخ للإسكندرية لإتمام بعض الاتفاقات لتوريد بعض المحاصيل الجديدة.

ولم يكن هارون وربيع يعلمان أن الشيخ فالح أيضا هناك.

فلعبت الصدفة دورها ليري كلا منهما الآخر.

ظهر على وجه هارون ملامح التوتر بعد رؤية عمه الشيخ فالح.

وبعد تعنته بإمعان النظر في عين عمه وكأنه يريد إيصال رسالة معينه له .

نظر هارون لربيع وقال:

- راكن فين العربية خلينا نغور من هنا..

اليوم شكله مش عاوز يخلص.

يسأل ربيع متعجبا :

- فيه إيه يا هارون مره وحده حالك انقلب ومتعصب؟..

ودلوقتي مش طايق نفسك.

وايه حكاية الموضوع اللي كنت بتتكلم فيه مع الأقطش ده؟..

نأوي تودينا فين يا هارون؟

هارون مقاطعا:

- بعدين يا ربيع بالله عليك هات العربية خلينا نمشي إنت مخدتش بالك من اللي حصل؟

يجيبه ربيع:

- لا واخد بالي كويس يا صاحبي واضح أن الكاسين عيارهم تقيل.

ينظر إليه هارون:

- كاسين إيه يا عقل التيس أنا بتكلم في إيه وإنت بتتكلم في إيه؟..

يا حمار إنت الشيخ فالح لسه معدي بعربيته وعيني جت في عينه وشافني وأتأكد مني.

وقبل أن ينهي هارون كلماته ارتبك ربيع وقذف سيجارته بعيدا من شده التوتر وسأل هارون:

- وإيه اللي ها يجيب الشيخ فالح هنا؟

نظر إليه هارون متعجبا مبتسما:

- عمرك ما ها تتغير أبداً جبان وتخاف من اقل شيء !!..

بترمي السيجارة ؟ لتكون فاكر انه ها ينزل يأخذك قلمين؟!!!..

إنت حمار ياد ده إنت! بقيت أطول منه يخرب بيت دماغك.

هتلاقيه كان عند الحاج عبد الجليل تاجر البلح ما هو ساكن آخر الشارع يالا يالا.

يبدئون بالسير باتجاه السيارة الربع نقل مكملا ربيع للحديث:

- مش موضوع قلمين ولا ثلاثة الموضوع إني سبحان الله اسمع اسم الشيخ فالح من وإحنا عيال جثتي تتلبش.

ويستقلون سيارتهم ويبدئون في السير.

وبعد دقائق يصلون للشقة التي يمتلكها هارون بشارع جمال عبد الناصر، والشقة عباره عن ٣ غرف وصاله كبيره مفروشه بفرش قيم.

ويلقي هارون علبه سجائره على طرابيزة الصالون المذهب ويوجه كلامه لربيع:

- حضر الجوزة والعدة وفوق كده على ما آطس جسمي بشويه

ماي عشان. الليلة لسه طويله.

يجيب ربيع بسعادة وفرح:

- عيوني بس على ما تخلص إنت اخطف رجلي بسرعه اجيبلنا شويه كباب لزوم الشيء.

هارون ضاحكا:

- بس بسرعه وذود الطرب والريش وهات شويه بيرة.

ويخرج ربيع من الشقة مسرعا، ويتجه هارون لغرفته وهو ينزع ملابسه قطعه تلو الأخرى ويلقيها على سريره ويخرج جلابيه رماديه اللون ويضعها على كتفه ويتجه للحمام ويبدأ تساقط الماء علي راس هارون من الدش وهو يستند بكلتا يديه على الحائط الذي أمامه منحني الرأس.

ويغيب عن وعي المكان شارد الذهن يفكر بعمق ولا يشعر بالوقت إلا عندما طرق ربيع باب الحمام وينادي عليه:

- هارون هارون .

فينظر هارون لباب الحمام ولا يجيب فمازال شارد الذهن، وكأن الصوت يأتي من عالم آخر.

- فيعلوا صوت ربيع مره أخرى هارون طب رد عليا إنت كويس. ولا هتنام عندك ولا إيه؟

يستعيد هارون وعيه ويعود للزمان والمكان ويجيب علي ربيع:

- أيوه يا ربيع طالع اهو.

- ربيع من خلف الباب طالع إيه أنا بقالي ساعة اخبط عليك.

يفتح هارون الباب مرتديا جلابيته وينشف رأسه بالفوطة ويلقيها في وجه ربيع ويمضي ثم يسأله:

- ها جيبت الاكل؟

يلقي ربيع الفوطة على كرسي الصالون المذهب وهو يسير خلف هارون -اكل إيه ده أنا جيبت الأكل وحضرت القعدة وقربت أصلي الفجر.

إنت مش سامعني ده كله؟ ..

ده الجيران صحيو من تخبيطي على الباب.

ينظر إليه هارون:

- متهولهاش أمال سرحت بس شوي.

يسأل ربيع مستنكرا سرحت؟

لاااا إنت النهاردة غريب في كل شيء.

يضع هارون ذراعه على كتف ربيع :

- تعالي بس يا ربيع تعالي نضرب حجرين وأنا هفهمك على كل شيء

ويبدأ ربيع في الجلوس وأمامه على الطرابيزة مجموعه من أحجار الجوزة ومنقد صغير فيه فحم مشتعل وأدوات المزاج ويبدأ في تقريص الحشيش وخلطه بالمعسل.

ثم أشعل أول حجر ومد يده لهارون بغابة الجوزة.

وبعد سحب هارون بعض الأنفاس يبدأ بشرح كل ما يدور في مخيلته لربيع،وعن موضوع جلب الحشيش من الخارج وتوصيله وتوزيعه لتجار الجملة في مصر.

وتقع الكلمات على آذان ربيع كالصاعقة ويصيح في وجه هارون بسؤاله بتعجب حشيش !!

- ما بلاش الحشيش يا صاحبي...

طب الآثاروعدت علي خير.عازونا نتاجر في الحشيش يا هارون؟!

فيقاطعه هارون يا بني اسمع.

- كام ضربه كده نضبط بيها الحال وخلاص...
مش لازم يعني نتاجر طول العمر.
وبعدين ما إنت عارف الآثار وخلصت..
الموضوع ده جالنا بالصدفة وشويه الفلوس اللي جم من طريقه ميكفوش حاجه..
هو لازم يعني نعيش طول العمر في شقي ووجع قلب؟!

ثم يسرح هارون بخياله ويقول لربيع:
- هيا سنه، سنه واحده بس وتمشي زي منا مخطط لها ..
وبكره تشوف محدش ها يقدر يقف قصادي.

يجيب ربيع بنبرات تحذير:
- والله أنا خايف عليك يا هارون من دماغك أما نشوف اخرتها إيه معاك.
ويستأنف هارون وربيع سهرتهم والدخان يملأ الصالة عليهم والطعام أمامهم والبيرة واحجار المعسل المخلوطة بالحشيش تملأ الطرابيزة.

الفصل السادس

بالواحة كانت الأحداث تسير بطريقتها النمطية المعتادة باستثناء صالح وكرشيف فقد تغير الوضع بعد معرفه الشيخ فالح بوجود كرشيف بالمنزل أصبح صالح يتعامل بكل ثقة.

ولكن شرط والده بعدم رؤيته كرشيف في الجوار أو داخل المنزل كان يؤرق صالح كيف يسمح له باقتنائه ولا يسمح بالخروج معه ولكنه تفهم شرط والده جيدا وتقبله بكل بساطه.

فكان سعيد سعادة لا توصف كل صباح وهو يذهب إلي كرشيف ويتحدث معه طوال النهار ولكن كرشيف كان مميزاً وغريباً.

فبعد عودة كرشيف من القلعة ظل يومين دون أن يأكل شيء يأبى ويرفض أي طعام فقط يشرب الماء.

وكاد صالح أن يجن من كثرة الحاحه على كرشيف بتناول الطعام فكل ساعة كان صالح يأتي بطعام مختلف لكرشيف، فتاره بعض قطع من الخبز وتارة بعض الفول النابت وتارة أخرى بعض الحليب وكان رفض كرشيف لكل هذه الأنواع رفضاً مماثلا وفي اليوم الثالث استمر صالح في التفكير والحديث مع كرشيف كثيراً.

وينظر صالح لكرشيف ويتحدث معه وكأنه يفهمه:

- وبعدين معاك طيب اجيبلك إيه؟

وليه مش راضي بالأكل؟ ما كل الكلاب بره بتاكل كل حاجه وأي حاجه، إنت حتى العضم مرضيتش بيه.

ولا تكون زعلان؟

ولا بتحب تأكل في الهواء زي يوم القلعة ده يومها كلت الكبدة

كلها ومسبتليش ولا حته.

واستوقفت هذه الكلمة صالح الكبدة فسأل كرشيف:

إنت كانت عجاباك الكبدة؟

ولا تكون مفطوم عليها؟

لو على الكبدة أمرها سهل بس كده أمك صفية ها تطردنا بره، ماهي هتكفينا منين كبده كل يوم وتجيب صحة منين تطبخ للبيت وليك بس برضه بسيطة اطبخها لك أنا.. بس عارف لو مكلتهاش؟!

طب اروح اجيبلك كبده.

طب اسمع استناني شوي وهرجعلك تاني.

ويخرج صالح مسرعا من الغرفة متجها ناحية المسجد فقد كان جزار الواحة قريباً من هناك وبطبيعة صغر الواحة وقله سكانها كان الجزار يذبح يوماً واحداً فقط في الأسبوع هو يوم الخميس ولم يكن صالح يتذكر أن اليوم هو يوم الأربعاء، وتذكر صالح هذا ولكن بعد وصوله وجد الشيخ حايل الجزار أمام منزله ولا يوجد لحم فتذكر أنه الأربعاء، ولكنه استكمل خطواته تجاه الشيخ حايل الجزار وبعد إلقاء التحية عليه قام بسؤاله:

- بتذبح بكره يا عم حايل؟

فيجيب حايل مستغربا سؤال صالح:

- وايه الجديد يا صالح مانا كل خميس بذبح يا ولدي.

- مش القصد يا عم حايل أنا قصدي يعني..

إن شاء الله عاوز كبده الدبيحه كلها ينفع؟

يجيب حايل على وتيره الغرابة:

- وايه اللي مينفعوش يا ولدي؟

كده كده الشيخ فالح موصيني علي كوارع وحته من بيت اللوح، هحطلك الكبدة معاهم.

فيسرع صالح برفض الفكرة:

- لالا يا عم حايل أنا هاجي اخد الكبد بنفسي وحسابها كمان عندي أصلها مش راحة للبيت.

فيسأل عم حايل صالح بغرابه:

- أمال راحة فين يا ولدي؟

صالح مجيبا:

- أنا محتاجها يا عم حايل ولو ينفع كل ذبيحه أخد الكبد يبقي عملت فيا جميله مش هنساها لك طول العمر.

يجيب حايل علي صالح ومازال مستنكرا للكلام:

- حاضر يا ولدي الشيخ فالح جمايله مغرقه الواحة.

فشكر صالح عم حايل ويعود للمنزل ويدخل مباشرة إلي المطبخ متسللا وكأنه لص يلتفت يميناً ويساراً فيجد عنود في المطبخ بمفردها تحضر صينيه مملؤة بأشهى الطعام من بط ودجاج وخلافه وكانت تغني بصوت مسموع:

- قلي يا عالم بالأشواق الحب حلو ولا حراق.

فيفزعها صالح بسؤاله هو إيه اللي حراق يا بت؟

تنتفض عنود وتنظر للخلف ضاربه صالح بيدها على صدره:

- خضتني يا صالح.

فيضحك صالح وعينه فوق صينيه الطعام:

- إيه ده كله إيه ده كله لمين الأكل ده كله يا عنود؟

فتجيب عنود بكل خجل ودلال للعروسة يا صالح.

صالح متعجبا:

- عروسه!! عروسه مين ده داخلين على شهر!..

هيا ها تفضل العروسة طول العمر؟!!

تجيبه عنود:

- شهر إيه يا صالح ده يا دوب أسبوعين.

فيكمل صالح الحديث بسؤال:

أسبوعين بقي ولا سنه بقولك أمك فين؟

تجيبه عنود:

- أمك فارده ضهرها شوي صاحية من الفجر عشان تحضر لهم العشاء.

فيسألها صالح :

طب بقولك إنتوا هتبعتوا برضه الكبد والقوانص بتاعه الطيور دي مع العشاء؟

تجيبه عنود بكل تعجب

- كبد إيه اللي هنبعتها يا صالح فيه عرسان برضه بتاكل كبد وقوانص ويسيبوا العز ده ويعلو صوتها وتشير بيدها إشارة دلاله على تأكيد ما تقول:

دي بنت الشيخ فالح.

فيضع صالح يده على فمها ويتكلم بصوت خافت بس بس ها تفضحينا يخرب بيتك.

فتدفع عنود يد صالح من على فهما مستنكرة الفعل.

- فضيحه إيه يا صالح يا أخوي مالك؟!

- مفيش مفيش طيب فين الكبد؟

- كبد إيه؟ وموطي صوتك ليه يا صالح؟!

- يووووه يا عنود ها فهمك بعدين بس فين الكبد؟

فتشير بيدها علي طبق مغطي بطبق آخر علي طاوله في المطبخ بجانب الأواني وطواجن الفخار الفارغة.

.أهم أمك مخلياهم لك يا حيله صفية.

يذهب صالح ناحية الطبق ويقول:

- بس يا بت طب أنا هاخدهم عشان هفتان ومكلتش حاجه من الصبح.

تسأله عنود مره أخرى:

- وإنت موطي صوتك وعامل الهوجة دي كلها عشان جعان، وكبده ومش كبده من أمتي إنت بيهمك نوع الأكل أصلا؟!!

يجيبها صالح وهو متجه إلى خارج المطبخ:

- من النهاردة يا أم لسان طويل هاتي وخليكي إنتي في الحراق بتاعك.

ويأخذ صالح طبق الكبد وقوانص الطيور ويقطعها قطع صغيره بيده ويذهب لكرشيف وبمجرد دخوله الغرفة ووضع الطبق أمام كرشيف بدأ كرشيف بإلتهام الكبد والقوانص بنهم شديد حتى أفرغ الطبق بما فيه.

نظر إليه صالح وبدأ في الحديث مره أخرى.

- وبعدين معاك يا كرشيف شكلك ها تتعبني..

ازاي يعني بتاكل كبده بس؟!

إنت أصلا شكلك مختلف ولونك مختلف عن باقي الكلاب.

لا تكون يا مضروب إنت كلب خوجاتي وجاي مع الخواجات اللي بيجو كل فتره يستكشفوا الواحة؟!!

يا خوفي تكون خوجاتي صح وأصحابك بيدوروا عليك وفي الآخر يأخذوك مني.. ما هو لو حد سأل مش ها ينفع ابن الشيخ فالح يكذب ...

بدأت تقلقني يا كرشيف..

وبينما يتحدث صالح وهو يجلس على الأرض مربعا قدماه وينظر لكرشيف تقدم كرشيف وجلس بين قدمي صالح وبدأ بمسح رأسه في قدم صالح معبرا عن السعادة والأمتنان والشكر على هذه الوجبة.

فربت صالح بيده علي ظهر كرشيف وأخذ يحرك يده على ظهره بكل ود.

وشرد صالح بنظره حتى غلبه النعاس.

وفتح صالح عينيه علي صوت شعبان مناديا:

- صالح يا صالح.

ففزع صالح من مكانه، وكان كرشيف مازال نائماً في حجره فرفعه برفق ووضعه على الكليم المفروش بأرضيه الغرفة وفتح الباب مجاوبا شعبان:

- إيه يا عم شعبان؟ صوتك عالي ليه؟!!

- عالي إيه أنا ليا ساعة أنادي عليك وإنت مش سامع ولا ترد !! كلم الحاجة صفية عاوزاك.

فيجيبه صالح:

- حاضر يا عم شعبان روح وأنا جاي وراك.

ويدخل صالح الغرفة مره أخرى محدثا كرشيف:

- معلش ها اسيبك واروح أشوف أمك صفية، وبكره من النجمة هجيبلك فص كبده لوحدك تعمل عليه حفله، وذهب وأغلق الباب خلفه بالقفل الحديدي.

ودخل صالح علي والدته وألقي عليها التحية وأمسك بيدها ليقبلها، وهي تجلس على الكنبة بجوار عنود يشاهدون التلفاز، فكان التلفاز لا يوجد بكل المنازل فقط بيوت المقتدرين فكان وسيلة حديثة لتمضيه الوقت مع أنه موجود منذ عقدين من الزمن في مصر ولكن لتطرف الواحة وانعزالها فلم يدخل بيوتهم إلا مؤخراً.

وكان بيت الشيخ فالح الوحيد هو ومنزل هارون الذين يقتنون تليفزيون ملون ليس كبقيه المنازل كان تلفازهم ابيض واسود.

بعد تقبيل يد أمه سألها صالح خير ياما؟

أجابته صفية:

خير إيه يا صالح إنت هتفضل على الحال ده كتير؟!

صالح متعجبا:

- ماله حالي ياما مانا الحمد لله بخير.

- يا ولدي إنت بقيت تقعد مع الكلب بتاعك طول النهار وترجع بس على النوم...

وأبوك مشغول بس اليومين دول ومش واخد باله...

بالله عليك متخليش الكلب ده يعمل مشاكل بينك وبينه ده ما صدقنا إنه وافق.

يجيب صالح رجائها:

- متخافيش ياما أنا بس عشان إحنا بإجازة ولا فيه دراسة ولا غيره وإنتي مشغولة كل يوم والتاني بأكل العرسان وفارس كمان مشغول مع أبوي.. أروح فين يعني ياما اقعد لحالي مثل المجاذيب؟!

- لا يا ولدي بس خد بالك عشان خاطر أبوك.

- فيجيبها صالح حاضر ياما ويوجه كلامه لعنود:

قومي يا عنود هاتيلي أي اكل عندك. أخوكي مكلش حاجه طول النهار.

لتقاطعه صفية موجهه الكلام لعنود:

- أمال فين يابت طبق الكبد إنتي مش قلتي صالح أخدهم؟

- تجيب عنود ناظره لصالح اه والله ياما ومقام السنوسي حتى اسأليه.

فتبدوا حاله الاستنكار وعدم الفهم علي وجه الجميع قبل أن يجيب صالح متلعثماً:

- أيوه أيوه حصل ياما وينظر لعنود ويقول بس جعت تاني ولا هتعدي عليا الأكل؟

- فتقاطعه صفية..العافية عليك يا ولدي وتوجه الكلام لعنود قومي يابت سوي لاخوكي بيضتين وهاتيله حته (لبه) من الطاجن اللي جوه.

ينظر صالح لعنود ويقول:

خليهم أربع بيضات وبلاش لبه...

لبه إيه بس ياما أنا مبحبش اللبن السرسوب في الشرب ها تخليني أكلة مطبوخ؟!

تضحك صفية مع صالح وتبدأ بإلقاء محاضره في فوايد لبن السرسوب.

- يا واد السرسوب ده يشد ضهرك ويقوي عضمك طب ده أبوك ممكن يشرب طاجن فخار كامل كل يوم ولا يكل ولا يمل ده هو اللي شادد ضهر أبوك.

- والنبي ياما بلا(لبه) بلا جبنه.. أنا هاكل بيض وبس.

وينظر صالح لعنود فيجدها في محلك سر عيناها في الشاشة الزجاجية تتابع فيلما لعبد الحليم ولا تسمع أي كلمه مما يدور.

فيقطع صالح خيط الرؤية المتصل بين عنود والتلفاز بيده فتلتفت عنود له -حاضر يا أخوي حالا هاسويلك البيض.

وتجري مسرعة للمطبخ بخطوات سريعة فتدخل قدماها تحت الكليم المفروش على الأرض تكاد تسقط علي وجهها ولكنها تستعيد توازنها وتمضي.

فيضك صالح مع والدته ساخرين من عنود ويقول:

- شوف البيت ها تموت نفسها عشان تلحق ترجع بسرعه تكمل الفيلم.

ترد صفية وهي تضحك:

- أهي طول اليوم قاعده قدامه ومبتزهقش أبداً وأنا اقعد أنادي عليها وهيا في ملكوت تاني.

يضحك صالح وينظر لأمه:

- خليها ياما يعني هيا برضه ها تعدي الوقت في إيه؟ غلبانة بقت وحيده في البيت ولا بتروح ولا بتيجي.

تتنهد صفية تنهيدة قصيره:

على قولتك يا ولدي.

ويتابعون مشاهده فيلم عبد الحليم ويسود الصمت والتركيز فقط على مشاهده الفيلم.

وفي صباح اليوم التالي بمجرد أن وصلت الساعة العاشرة كان أول شخص متواجد أمام الجزاركان صالح وهو ينظر للشيخ حايل ومازال الشيخ حايل لم ينتهي من تشفيه اللحم من العضم.

- صباح الخير يا عم حايل.

- هه صباح الخير يا صالح يا ولدي.

- فين الكبدة يا عم حايل؟

- ومستعجل ليه يا ولدي ده إحنا لسه بنقول يا هادي.

- معلش يا عم حايل أصل عندي كام مشوار فقلت أعدي اخدها قبل ما آنسي.

- خد يا ولدي ويناول الشيخ حايل لصالح لفه صغيره ورقيه بها فص الكبدة ويقول لصالح:

وقطعتها لك كمان.

فيفتحها صالح فيجد أنها لا تتعدي الكيلو ونصف فيسال الشيخ حايل:

- هي دي كل الكبدة يا عم حايل؟

فتبدو علي وجه الشيخ حايل ملامح العصبية ويجيب:

- أيوه يا ولدي هو الفص صغير شويه عشان ده عجل بتلو..

صغير يعني فالفص بيكون صغير وكمان حطيتلك القلب معاها من عندي.

- طب خلاص خلاص يا عم حايل متعصب ليه؟ متزعلش...

حسابك كام يا عم حايل؟
- ما تخلي يا ولدي وابقي أحاسب الشيخ فالح.
- لالا معلش يا عم حايل.. خلي حسابي لوحده.
- بكيفك يا ولدي هات ٥ جنيه.

يعطيه صالح حسابه ويشكره ويمضي قدما بخطي سريعة وتملأ وجهه ابتسامة عارمه وكأنه وجد كنزاً.

ويتجه مباشره إلي غرفه كرشيف ويفتح باب الغرفة فيستقبله كرشيف بالتقدم نحوه والوقوف تحت قدمه ويبدأ صالح بالتحدث إليه:
- يا صباح الفل يا بطل عاملك مفاجأة بقي إنما إيه ويفتح صالح لفه الكبدة ويريها إياه ويستأنف حديثه:
- بص شوف استناني بقي هوصل البيت أشوف أي وابور شرائط قديم ولا وابور جازوطاسه واجيلك هوا عشان اطبخ لك الاكل...
ثواني مش هتأخر.

وبترك صالح الكبدة على الأرض ويذهب للمطبخ ويبحث في وسط الأواني وتحت الطاولة عن أي وابور قديم ليأخذه للغرفة لتسويه الكبدة عليه وبالفعل يجد سخان كهربائي صغير تستخدمه أمه أحيانا لتدميس الفول عليه.
ويأخذه مع طاسه صغيره ويعود مسرعا لكرشيف ولكن كانت المفاجأة حينما فتح صالح الباب.
وجد كرشيف قد بدأ بالأكل بالفعل والتهم نصف الكبدة

المقطعة والقلب بنهم شديد فنظر إليه صالح بغرابه وأخذ في سؤال كرشيف مجددا:

- إيه اللي إنت بتعمله ده؟..

للدرجة دي جعان ولا حكايتك إيه؟..

وازاي بتأكلها نية بالطريقة دي؟..

وبعدين معاك كل يوم بستغربك اكتر!

بس حلو والله جدع وفرت عليه تعب الطبخ وأنا معرفش حتى اعمل شاي لروحي.

وجلس صالح بجوار كرشيف ينظر إليه بسعادة لأنه عاد يأكل مره أخرى ولكن شرد تفكيره في طريقه التهامه للكبدة.

ولماذا لا يأكل أشياء أخرى مثل باقي الكلاب في الواحة؟

وهل يأكل فقط الكبدة؟

أو إنه يأكل لحم أيضا؟

وهل يأكل اللحوم دون سوي أو من الممكن أن يأكلها ناضجه؟

بدأت التساؤلات الكثيرة والكثيرة داخل عقل صالح وهو ينظر ويتمعن في وجه كرشيف وبعد أن انهي كرشيف وجبته وترك بعض قطع الكبدة والقلب المقطعة متناثرة حوله هنا وهناك.

ذهب ليمسح رأسه في قدم صالح كعادته تعبيراً عن الشكر.

ورفعه صالح ووضعه في حجره واستمر في مداعبته كالمعتاد واستمر في التفكير والتفكير وهو شارد الذهن.

الفصل السابع

عاد (الشيخ فالح) و(فارس) للواحة بعد غياب دام حوالي ٦ أيام وقفت سيارته أمام المنزل وودع فارس الذي ذهب بدوره لمنزله ليرتاح من تعب الطريق والرحلة,

وتقدم بخطى سريعة نحو (الشيخ فالح) وقال بصوته العالي:

- حمد الله على السلامة يا شيخ.

يجيب الشيخ فالح عليه:

- الله يسلمك يا (شعبان).. أخبارك إيه؟

ويسير خلفه (شعبان) مستمرا في الكلام دون توقف:

- الحمد لله بخير طول ما أنت بخير يا شيخ...

والله كان نفسي اروح معاك أشوف هوا البحر وأزور سيدي المرسى، والواحد يأكل أكلة سمك معتبره يرم بيها عضمه..

فاكر لما أخدتني معاك يا شيخ من سنتين ورحنا المطعم اللي..

يستوقفه الحج مقاطعا له:

- بس بس يا (شعبان) ياد قلتلك مليون مره بطل رغي الحريم ده. شايفني جاي من السفر تعبان سيبني ارتاح الأول وبعدين ارغي! يخرب بيت مخك.

- لا مؤاخذة يا شيخ أصل إسكندرية وحشتني.

فينظر إليه الشيخ:

- يا أخي ابقي خدلك يومين أجازة ورح روق على حالك..

أن شالله تاكل سمك البحر كله، بس بطل رغي وروح فضي الصندوق ودخل الحجات دي كلها في وسط الدار للحاجة (صفية).

ويستمر (شعبان) في السير خلف (الشيخ فالح) ويجيب:

- حاضر حاضر يا شيخ.

فينظر إليه الشيخ:
- اهه .... أمال حاضر حاضر ومكمل مش وراي؟
ها توصلني للسرير أمال؟.. اتلحلح ياد وروح نزل الحاجات.

فيعود (شعبان) للسيارة ويبدأ في تفريغ الصندوق مما فيه.

ويدخل (الشيخ فالح) المنزل فيجد زوجته و(عنود) و(صالح) يجلسون لتناول الإفطار، فيلقي عليهم التحية وتسرع (عنود) بالوقوف لتقبل يد أبيها وتأخذ عباءته عنه.

ويقوم (صالح) بدوره ويسلم على والده ويقبل يده وتبدأ(صفية) بالكلام ويصاحب صوتها نبرات من العتاب:
- حمد الله على السلامة يا شيخ هما دول الـ٣ أيام؟... كده تقلقنا عليك... ولا تليفون.. ولا تطمنا؟..
ولا تقول هتأخر كمان يومين؟
يبتسم (الشيخ فالح) ويجيب على (صفية):
- إيه يا (صفية) مالك واخداني على الحامي... ويغمزها بكوعه في جانبها ويقول مغازلاً إيه يابت وحشتك؟

فتخجل (صفية) من الفعل أمام ابنها فتقول مبتسمه:
- مش موضوع وحشتني يا شيخ بس برضه عشان نطمن عليك.
يجيبها (الشيخ فالح) مبتسما:
- يا ستي اطمني اديني قدامك أهو لا ناقص دراع ولا رجل، وبعدين مش (فارس) كلمكم وقال إني هغيب كمان يومين؟

فيقطع كلامهما (صالح) وينظر لأبيه:
- حصل يا بوي بس تلاقي الحاجة (صفية) كانت عاوزه تسمع صوتك..
أصل (فارس) صوته وحش في التليفون.
ويضحكان معا على كسوف وخجل صفية.
ويقول (الشيخ فالح):
- عندك حق يا ولدي المرة الجايه هبقي أخلى عبد الحليم هو اللي يبلغك اهو صوته حلو.

تكشر عن انيابها (صفية) بضم الحاجبين وتوجه الكلام (للشيخ فالح):
- ما خلاص يا شيخ إنت ها تعملها حكاية إنت وابنك؟
- طيب خلاص يا (صفية) متزعليش بهزر معاك متخليهاش جد أمال.
تقاطعه صفية بدلال:
- مبحبش الهزار قدام العيال وقلتلك ١٠٠ مره الكلام ده.
فيقاطع (صالح) أمه:
أنا عيال يا (صفية) ماشي ياما ده أنا بقيت طولك.

ويبدأ (صالح) في السير ناحية باب المنزل للخروج.
فيستوقفه (الشيخ فالح) بسؤاله:
- رايح فيين بدري كده (يا صالح).
- مفيش يا بوي هَمَشّي رجلي شوي.
- ماشي يا ولدي براحتك.

ويخرج (صالح) من المنزل ويسمع صوت أبية يناديه مره أخرى:
- صالح. يا صالح.
يعود ويفتح الباب ويدخل رأسه فقط.
- نعم يا بوي بتنادي؟
- أيوه يا ولدي أنا جيبتلك كل الكتب اللي طلبتها.
- شكرا يا أبوي ربنا يخليك لينا.
فتسال (صفية) (الشيخ فالح):
- كتب تاني؟..
تاني يا شيخ إنت كل مره تسافر تجيب له كتب ولا ٣٠ أو ٤٠ كتاب والله ما حد هيضيع نظر ابني غيرك.
يضحك (الشيخ فالح) من كلام (صفية):
- يا حنينه إنتي يا أم قلب دهب..
ده بدل ما تفرحي للواد انه طالع يحب القراءة والثقافة وكتب التفسير.. الثقافة بتنور العقل يا(صفية) وأنا حابب انه يكون مثقف...
وعلى فكره يا(صفية) حلفان بالله العظيم أن ابنك هو اللي كل مره يديني عريضة لكل الكتب اللي هو عازوها...
وأنا عمري ما غصبت عليه انه يقرا كتاب معين..
لان أي كتاب يا(صفية) عشان يثبت في المخ لازم يكون اختيارك وتكوني حاباه وعاوزه تقريه...
عشان كده مبحبش اجيب له كتاب من عندي.

وهنا تتدخل عنود:
- احضر لك فطور يا أبوي؟
- لا يا بنتي مليش نفس.

حضريلي بس الحمام أنزل تراب السفر من على جسمي ومحتاج أنام قيمه ساعتين.

فتذهب عنود مسرعة لتلبيه طلب أبيها بتجهيز الحمام.
وهنا يستأذن (شعبان) ليضع ما كان بصندوق السيارة داخل المنزل كما طلب الشيخ.

- ادخل يا (شعبان) حطهم هنا..
مشيرا إلى مكان خالي بجوار الباب.
- وبعدين الحاجة ها تدخلهم.

يدخل (شعبان) ويضع الشنط والصناديق بجوار الحائط ويلقي السلام وتحيه المنزل على الحاجة (صفية).
- حمد الله على سلامه الشيخ فالح يا حاجه..
ده غيابه كان مأثر في الواحة كبيرها قبل صغيرها.

- فيقاطعه (الشيخ فالح) يخرب بيت دماغك ياد..
أنا مش لسه قايل لك بره بطل الرغى اللي لا يودي ولا يجيب ده؟

- تتغير ملامح ووجه(شعبان) ويقلب حاجبيه رأسا على عقب ويدلي رأسه للأسفل ولا بنطق بحرف سوي خدمه تاني يا شيخ؟
- لا يا خوي مش عاوز خدمه تاني..
وافرد وشك ده..وروح شوف شغلك.
يقولها (الشيخ فالح) مبتسما ساخرا من رد فعل (شعبان).

تنظر (صفية) للشيخ:

- بالهداوة يا (شيخ فالح) الراجل بيزعل...

طب والله بيحبك.

يضحك الشيخ قائلا:

- (شعبان).! وبالهداوة؟

طب أقولك شيء لولا أنها حرمانيه أنا كنت طخيته بنفس..

وبعدين أنا مش عاوزه يحبني حبه برص ولا سلعوه تأخذ اجله.

- تضحك (صفية) بصوت عالي على نكات (الشيخ فالح) وتضع يدها على كتفه وتقول طب روق روق.

فالح يستأنف حديثه على (شعبان):

- الواد نهت عليه ألف مره بلاش رط ورغي الحريم اللي على الفاضي والمليان وينادي (الشيخ فالح) على (شعبان) ويبدو انه نسي شيء.

يدخل (شعبان) مسرعاً مره آخر المنزل.

- اؤمر يا شيخ.

- بقولك يا (شعبان) هما (هارون) و(ربيع) مظهروش في ألواحه؟

فيبدأ (شعبان) في التفكير ومعالم الغموض تظهر على وجهه وارتفاع حاجبيه مع مد الشفتان للأمام ويبدأ بهرش راسه.

يسرع (الشيخ فالح) بقوله:

- خلاص خلاص يا شعبان أنا اسف أنا اسف ..

لما تشوف حد فيهم ابقي بلغني فورا..

ويالا روح انصرف بدل ما مخك يفرقع من التفكير وإنت واقف يخرب بيتك، روح الله يرضي عليك.

ينصرف (شعبان) ومازال يفكر ويهرش في رأسه ويسال نفسه هو الشيخ قال (هارون)؟

ولا (ربيع)؟
ولا قال الاثنين؟
وقال عاوزهم؟
ولا لما اشوفهم اقله وبس؟
- ويقطع حبل أفكاره (صالح) ويناديه:
شعبان شعبان. مالك؟
- مفيش يا(صالح)، أبوك بس ملخبطني شويه.
- طيب الكتب فين يا (شعبان)؟
ينظر(شعبان) بتعجب!
- كتب! كتب إيه؟
يسأله (صالح) مره أخرى:
- عم شعبان ركز معايا شوي..
الشنطة اللي كل ما يسافر أبوي....
فيقاطعه (شعبان):
- أيوه أيوه اتقل شنطة فيهم.
إلا فيها إيه دي يا(صالح)؟
- فيها كتب يا عم (شعبان).
حطيتها فين يا عم (شعبان) ركز دي لسه واصله.
- ما أنا مركز اهو يا سي (صالح)...
الشنطة ورا الباب على الشمال.
- شكرا يا عم (شعبان) روح إنت كتر خيرك إنك افتكرت.

ويصعد (صالح) مره أخرى للمنزل ليأخذ شنطة الكتب وينصرف لغرفه كرشيف.

يدخل (صالح) على (كرشيف) بشنطة الكتب وعندما يراه (كرشيف) يقفز من الفرحة ويقوم بالتنطيط والوقوف علي قدميه الخلفيتان ويسند القدم الأمامية على ركبه (صالح) دليل علي السعادة والألفة والفرح برؤيته.

فيبتسم(صالح) لرؤيه (كرشيف) ويتعلق به يوما بعد يوم ويقول (لكرشيف):

- شفت بقي جيبتلك إيه؟..

كتب كتيييير عشان نقعد نقراها سوي لما هخليك دكتور في الادب الكلابي بالسمع.

ويضحك (صالح) علي نكتته البايخة التي لا معني لها ويمدح نفسه.. يا سلام يا (صالح) علي خفه دمك ونظرعلى الارض فيجد أن قطع الكبدة والقلوب المتناثرة مازالت موجودة ولم يأكل منها شيئا منذ أن التهم معظمها من يومين.

وسأله (صالح):

- إنت مكلتش دول ليه؟..

دول يجو حوالي نصف كيلو...

يعني نصف بطن كده على الأقل..

بس خلاص بلاش ده عدي عليها يومين لتأكلهم يجرالك حاجه خدلك ساتر كده على جنب لأن الأوضة كلها لازم تتنظف من اللي إنت عامله في كل مكان ده.

وبعدين عندك حمام جوه.

هو اه مش قد المقام بس يقضي الغرض.

ويبدأ (صالح) في الانهماك بتنظيف الغرفة.

فقد لبس كيسين بلاستيكيين في يده وبدأ بجمع براز(كرشيف)

وكل القاذورات التي بالغرفة المتراكمة من أسبوع مضي.

وفي المنزل دخل (الشيخ فالح) بعد الدش البارد لينعش جسمه من تعب الطريق ودخل إلي الغرفة ليرتاح بعض الوقت فينظر (لصفية) داخل الغرفة نظره مراهق ويقوم بمغازله (صفية):

- محلوه يا بت يا (صفية) ولا أنا اللي بيتهيألي.

فتجيب بدلال ودلع:

- عيونك إنت اللي حلوه يا شيخ فالح.

- هيه عيون مين يا(صفية) إحنا خلاص يا بت الزمن علم فينا.

تقطع (صفية) وصله الرومانسية بسؤال:

- مقلتليش يا (شيخ فالح) عاوز (هارون) في إيه؟

يجيبها (فالح):

- (هارون) ده حكايته حكاية بس أفضى له..

ونبقي نشوف إيه حكايته.

تتعجب (صفية) من نبراته:

- ده الموضوع شكله واعروكبيريا شيخ.

- لا لا كبيرولا حاجه ده موضوع بسيط وأنا عاوز أتكلم معاه فيه. سيبني بس ارتاح شويه وبعدين هبقي أحكيلك.

- اللي تشوفه يا خوي طب اصحيك على اذان الضهر؟

يجيبها الشيخ:

- يكون أحسن برضه. واهو الواحد يقوم يصلي الفرض ولولقيت نفسي مش قادر أكمل اليوم ابقي أنام تاني بعد الصلاة شوي كمان.

يالا سيبيني أمال يا(صفية) متبقيش عامله زي الواد اللي تحت ده.

وتذهب (صفية) وتقفل الباب بعد خروجها.

- وتنادي على (عنود):
يا(عنود).
- تجيب (عنود) نعم ياما.
- بسرعه يا بنتي جهزيلي القدر الكبير عشان الحق أسوي الكوارع اللي بعتها عمك (حايل) أمس.
حاضر ياما وتسرع عنود متجهة للمطبخ لتحضير ما طلب منها.

وتذهب (صفية) لغرفة الخزين عائده وفي يدها كيس من الأرز وبصل وثوم وخبز ناشف لزوم الكوارع.
فتضحك عنود وتنظر لأمها ساخرة:
- إنتي لسه فيكي صحة يا أما للكوارع والفته إنتي وأبوي؟
تضحك (صفية) بدلال وتقول:
- يابت الشباب شباب القلوب...
حطيها حلقه في ودنك يا بتي الست طالما تحب جوزها وتعطيله حياتها بإخلاص وتسمع كلامه وطول الوقت تتدلل عليه يفضل دايماً شايفها مثل يوم الجواز لا تكبر ولا يصيبها عجز..
والراجل اللي يحب زوجته من قلبه ولا يفرق معاه شكلها ولا جسمها لأنه كبر وياها يوم بيوم مش بيشوف ولا بيحس أبداً أنها كبرت دايماً شايفها البنوته الصغيرة اللي لسه داخل عليها أمس..
النكد يا بنتي هو اللي يعجز الناس ويموت في القلوب الاحساس.
وتسمع (عنود) كل هذه النصائح وتسخر من أمها وتقول:
- والله يا(صفية) فاضلك حبه وتقعدي جنب أبوي في المجلس.
يضحكون سويا بصوت عالي وتتابع صفية:
- اللي تتجوز (الشيخ فالح) لازم تتعلم من النفس اللي يطلع منه وابوكي مدرسه للحياة وللدنيا وللناس اللي نعيش وسطهم لأنه ماشي

بكتاب الله وبعادتنا يا بنتي. وقادر يوفق بينهم زين..
يبارك فيه ويحرصه..
شدي حيلك يا رغاية خلينا نخلص قبل ابوكي ما يقوم من النوم
- أنا اللي رغاية يا أما ربنا يسامحك اهه اسويلك إيه تاني؟

ويستمروا في تحضير الكوارع والفته سويا في المطبخ علي صوت الضحكات والكلام سويا .

يطرق باب الغرفة القبلية بعد محاولته دفع الباب فوجده موصد من الداخل، يعلو صوت (صالح) من الداخل مين اللي بره؟
افتح ياد أنا(فارس).
- يفتح (صالح) الباب ربع فتحه مسرعاً فيسلم على صديقه مبتسما يجذبه للداخل ممسكا يده. ويقول حمد الله على السلامة..
ويغلق الباب مره أخرى بسرعه.
فيتعجب (فارس) من رده فعل (صالح) فيدخل وهو يبتسم:
- بشويش طيب. فيه إيه يابني مالك ومسكر الباب كده ليه؟
وينظر حوله فيجد رائحة الغرفة غريبه على غير المعتادة مع أن (صالح) إنتهي من تنظيف الغرفة فقط منذ قليل ويسأل (فارس) مبتسما مع هزراسه أسفل وأعلي.
- اهه بقي هو الموضوع كده إنت عملتها بيت للكلب؟
اتاريك مسكر الباب وشايف الأوضة رايقه. والله شكله كلب ابن كلب اللي يخلي (صالح) ابن (الشيخ فالح) يشتغل عنده ونبرات السخرية من الأمر يتسم بها كلام(فارس) وهو يتكلم مع صديقه.
ويختم (فارس) حديثه بسؤال أمال فين الشيخ بلوبيف؟ ويعلو صوته بالضحك.

يجيبه (صالح) وعلي وجهه معالم الاستياء من سخرية صديقه.

- إنت اللي بتقول الكلام ده يا(فارس) ده إنت أول واحد نفسه يربي كلب، طب والله هو اللي مسليني في غيابك وبعدين اسمه (كرشيف) يا (فارس) (كرشيف) مش بلوبيف.

- يسأل (فارس) مره أخرى فينه يا سيدي سي (كرشيف) ده؟ مغلطناش في البخاري يعني.

يجيبه(صالح) وهو يضحك ماشي يا خويا كويس إنك جيت.. اقعد بس على ما اروح انشفه أصلي كنت بحمية وإنت خبطت الباب فسيبته بالحمام.

- يسخر (فارس) أكثر وأكثر كمان بتحمية يخرب بيت عقلك إنت خلاص راحت منك.

- اقعد بس اقعد يا (فارس).

ويدخل (صالح) للحمام ويخرج حاملاً (كرشيف) بين ذراعيه ملفوف بفوطه قديمة وينشف بها جسد (كرشيف).

وكانت الصدمة تظهر على وجه (فارس) عندما رأي جسد (كرشيف) كأملا ووجهه واتسعت حدقييه عيناه وبدأ بتوجيه الكلام (لصالح) بصوت عالي مع هدوء الاعصاب وتتابع. الأسئلة.

- يخرب بيتك! جيبته منين ده؟

إنت تعرف ده إيه؟ وممكن يعمل إيه؟

وأمه مين؟ وابوه مين؟

- يتعجب(صالح) لرد فعل(فارس) ويقطع حديثه مالك يا عم فيه إيه؟

بالراحة اهدي شوي...

إيه هو اللي أمه وابوه وعيلته محسسني انه ابن عمك!

يضحك(فارس) لنكته صديقه ويقول:

- ابن عمي! ماشي يالمض.

أول حاجه احكي لي القصة بالراحة كده وقول لي جيبته منين وازاي؟

واضح إنك مش عارف يا(صالح) اللي إنت شايله ده إيه!

يسخر (صالح) من كلام صديقه وهو يحمل(كرشيف) بين ذراعيه ويقبله في راسه ويمسح خده براس كرشيف ويجيب بنبرات ساخرة

- باين أن إنت اللي متعرفش ده مين؟

ده (كرشيف) صاحبي وحبيبي اللي مهون عليا الوقت.

فيلاحظ (فارس) هدوء (كرشيف) ولعقه لوجه صالح وكأنه جرو بحضن أمه ويتعجب للعلاقة بينهما والحب الواضح وضوح الشمس.

فيجيب (فارس) بكل سخريه على صديقه وهو يضحك:

- طب حاسب ليعضك ده ديب. يا أهبل مش كلب.

يفزع(صالح) من الكلمة ويبعد (كرشيف) من أمام وجهه..

ويصفر وجهه (صالح) وتتسع عيناه ناظرا (لكرشيف) وهو يفرد ذراعه بطولها أمامه ويكاد أن يلقيه ارضا.

فيضك (فارس) بصوت عالي ويأخذ منه(كرشيف) ويجلس به أرضا ويداعب شعر(كرشيف) ويقول(لصالح):

- اقعد بس اقعد وأنا ها فهمك ومتخافش.

ينظر(صالح) لفارس وينتظره يتحدث:

- قول يا فارس لبشت جسمي كله...

ده ديب ولا كلب؟

ومنين بتخوفني وبتشيله؟
ولا تكون طمعان فيه؟
يضحك (فارس):
- هههههه طمعان فيه إيه يا حمار إنت ده أنا بقول عليك مثقف وقاري ازاي متعرفوش يا(صالح)؟
احكي لي بس إنت لقيته فين وإزاي وعامل معاك إيه؟
لأنه ممكن يموت معاك.

ويبدأ (صالح) بسرد كل ما حدث بينه وبين (كرشيف) منذ أول لحظه حتي اخرها و(فارس) متمعن السمع والاستغراب مما يرويه ومع استمراره مداعبه شعر (كرشيف) بيده وهو يستمع، نام (كرشيف) في حجر (فارس)، وهنا تمعن (صالح) النظر في وجه (كرشيف) وكانت أول مره يراه وهو نائم وجها لوجه.
فكانت كل مره ينام بين يديه يكون (كرشيف) جالساً في حجره ولكن هذه المرة ينام في حجر (فارس) و(صالح) يجلس بالمقابل.
- الحق يا (فارس) ده نايم بعين وعين!
- يضحك (فارس) ويقول ما انا عارف، ما هي دي من خصائص الذئاب بص (يا صالح) أنا هاقولك إيه ده بالضبط...
واحكيلك دنيته فيها إيه.. واديك المفيد وإنت حريا بن الناس.
ينصت (صالح) لصديقه:
- قول يا سيدي اديني سامعك أما أشوف...
إنت محسسني أن فيه نسب بينك وبينه.
- ويبدأ (فارس) بشرح ماهية هذا الحيوان بقول بص يا سيدي.
أولا إنت ناسي إني في كليه علوم..
وثانيا إني أصلا قريت كتب كتير عن الحيوانات وبالذات الذئاب

وده لما اشتغلت مع أبوك عشان اعرف ازاي احمي المزارع والرجالة اللي فيها منهم، وده بسبب أن أبوك مانع الكلاب تدخل مزارعه علشان تحميها منهم..

الشي الأهم بقي أن ده أبوه ذئب وأمه كمان ذئبه فالشيء ده اسمه يا إما جرو أو جرموزا -يقاطعه (صالح) ليه أمال فيه ذيب أمه قطه! ما أكيد أمه ذئبه.

- فيتابع(فارس) لا مش بالضرورة استني بس يا مثقف يا بتاع المدارس.

وده كمان يعتبر من الفصيلة الرمادية من أجمل وأقوي وأذكي الذئاب وأكبرهم حجماً وأحمد ربنا انه ذكر..

لان ذكر الذئب بيكون احن واطيب من الأنثى..

المهم .. لو كانت أمه ضبع كان يبقي شكله مختلف شويه وكان يبقي اسمه (سمع).

ولو كان ابوه هو اللي ضبع يبقي اسمه (عسبار).

ولو كانت أمه كلبه يبقي اسمه (ديسم).

- ويقاطعه (صالح) بسخريه وسؤال ولو كانت أمه (معزه).

فيضحك كلاهما ويكمل (صالح):

- يا عم بلا كلب بلا ضبع المهم يا (فارس) إني بجد حبيبته ومش عاوز ارميه، وتاعبني في أكلة واضح يا (فارس) إنك عارف كل حاجه عنه وعرفته على طول مع أن أمك(صفية) ولا خدت بالها..

إلا إنت عرفته ازاي يا (فارس)؟

- يجيبه (فارس) بص يا(صالح) الفروق بسيطة بين شكل الكلب والذئب تعرفهم من العين. والودان. والذيل. اهم شيء أن ديل الديب دايماً مفرود المهم سيبك من إني عرفته ازاي..

ده عشان يعيش معاك لازم يأكل لحم طازج مش بياكل حاجه

ميته أو قديمة لحد ما يعدي سنه وهو يصطاد بنفسه.

ولحد ما يصطاد يا ناصح لازم تقطع له اللحم حتت لان المفروض أمه أو ابوه بيمضغوله الاكل.

بص أنا هاجيبلك كتابين تقراهم وتعرف كل حاجه عنه.

اسيبك أنا دلوقتي عشان منمتش أنا يا دوب رميت شنطتي بالبيت وجيت اشوفك. اروح ارتاح شويه لان أبوك هد حيلي في السفرية دي.

ويبدأ في الوقوف للانصراف ووضع (كرشيف) على الأرض.

فينظر له (صالح) نظره رجاء:

- (فارس) بالله عليك ما تقول لحد انه ديب...

خليها كلب يا(فارس)على ما شوف ها اعمل إيه معاه وبالذات (الشيخ فالح).

- يجيبه (فارس) ما هو اللي بتعمله ده غلط يا (صالح) وأنا خايف عليك يا صاحبي...

ده ديب يا(صالح) مش فاروبعدين مسير الناس ها تعرف لما يكبر وبيداء يعوي ده بيعوي ٣ مرات في اليوم يا صالح..

بس حاضر يا صاحبي رجائك أمر لأخوك وأنا هجيبلك بكره كتاب تقرأه عشان حتى علي الأقل تقدر تربيه وتحمي نفسك منه ولو قدرت تروضه زي الكلاب يكون أفضل.

سلام يا صاحبي ويفتح باب الغرفة وينصرف ويترك (صالح) جالسا متأملا (كرشيف) ناظرا لوجهه متحدثا معه:

- ده كله يطلع منك يا (كرشيف) ده إنت طلعت حكاية طب اعمل فيك إيه .

وكأن (كرشيف) فهم ما يقال فذهب يمسح رأسه في قدم صالح.

ويربت صالح علي رأسه ويقول متخافش مش ها سيبك يا

(كرشيف) بس ادعي ربك يستر وإنت ابقي اسمع الكلام اسيبك أنا اروح أشوف اخبار أبوي إيه عشان منتفضحش.

ويخرج صالح من الغرفة ويضع القفل الحديدي عليها متجها لباب المنزل.

في صباح اليوم التالي وقد استيقظ الجميع في منزل (الشيخ فالح)..

ووقت تناول الفطور يطرق باب المنزل وتفتح (عنود) الباب.

وإذا به (فارس) ويلقي عليها الصباح بكل حياء واحترام.

- صباح الخير يا(عنود).

- فتجيبه بكل خجل صبحك الله بالخير يا (فارس).

ويسمع(فارس) صوت (الشيخ فالح) من الداخل مين يا(عنود).

فتفتح (عنود) الباب أكثر ليجيب (فارس).

- أنا يا عم الشيخ صبحك الله بالخير.

- أهلا (فارس) ادخل يا ولدي إتفضل. لا تكون مكسوف اياك؟

فيدخل (فارس) منحني الرأس احتراما لنساء المنزل.

- فيضحك (الشيخ فالح) علي(فارس) مالك يا واد يا (فارس) خجلان؟

يخرب مطنك الواد كبر يا (صفية) وبقي وش كسوف.

لسه أكنه حاصل من يومين كان واقف قدامي ويقول لي:

يا أنا يا الكسكسي بتاع أمي (صفية) هههههه.

- تقول(صفية) بابتسامه عريضة متكسفوش أمال يا شيخ...

(فارس) كبر وبقي زينه الشباب.

- يقاطعها (الشيخ فالح) قائلا كبر اه بس مش علينا يا(صفية) هيفضل طول عمره ولدي زيه زي (صالح) تمام.

- وبكل خجل وأدب يقول (فارس) عشت يا عم الشيخ ربنا يبارك لنا فيك وفي عافيتك.. أمال (صالح) وين يا عم الشيخ؟

فيجيبه الشيخ:

- (صالح)! ..

(صالح) لسه نايم

ويخرج(صالح) من الغرفة وهو مازال لم ينتهي من ارتداء جلابيته مفاجئاً الجميع:

- أنا (صاحي) يا بوي ويوجهه كلامه ونظره (لفارس) صباح الخير يا (فارس).

وقبل أن يجيب (فارس) كان (الشيخ فالح) أسرع في الكلام:

- الله يعني صاحي اهو.

أمال مخرجتش تفطر معاي ليه؟ شفت يا (فارس) عمايل صاحبك؟

(صالح) مجيبا كنت مكسل أقوم والله يا بوي بس لما سمعت فارس قمت اشوفه ما إنت وخده على طول يا بوي ومبعرفش اتلم عليه.

فيبتسم (الشيخ فالح) ويعلق على كلمه صالح:

- اهو عندك اهو أشبع بيه.

فيضحك الجميع.

ويذهب (صالح) بجوار (فارس) بعدما رأي الكتاب في يديه ويسأله:

- هو ده الكتاب؟

- فيجيب (فارس) بصوت خافت لا يكاد يسمعه إلا(صالح):
اه هو ده.
كتاب عن استئناس وتدريب الذئاب واستعمالهم في جيش الاتحاد السوفيتي هتلاقي فيه كل المعلومات اللي تفييدك..
انواعهم. واكلهم. وشربهم.. وكل صغيره وكبيره على الذئاب.

تظهر على وجه (صالح) نظرات سعادة عارمه ويشكر فارس
مش عارف أقولك إيه يا صاحبي.
ويلاحظ (الشيخ فالح) ما يدور فيسال بصوت عالى:
- أمال بتتوشوشوا في إيه؟
وكتاب إيه ده يا صالح؟
مأنا لسه يا ولدي جايبلك كتب الدنيا أمبارح.
- فيجيب (فارس وصالح) في نفس اللحظة.
- ولكن قال (صالح) كتاب حيوانات يا بوي.
- ويجيب (فارس) كتاب علوم.
فيندهش (الشيخ فالح) للإجابة فيوجه سؤاله لهما:
- كتاب علوم ولا كتاب حيوانات؟
فينظر (صالح لفارس) ويبدأ هو بالكلام.
- كتاب علوم يا بوي بس خاص بالحيوانات.
فهز (الشيخ فالح) راسه أسفل وأعلي ويقول اااه علوم للحيوانات..
ماشي ماشي هأمشيها علوم حيوانات المرة دي.

وهنا استأذن (فارس) وانصرف للذهاب
ودخل (صالح) غرفته:

وطرق باب المنزل مرة أخرى ففتح (صالح) باب غرفته متجها لفتح الباب خوفا من أن يكون (فارس) مره أخرى فوجده (شعبان).

- صباح الخير يا (صالح) يا ولدي.. الشيخ صاحي؟

- صباح الخير يا عم (شعبان).

فيسبق صوت الشيخ اجابة (صالح):

- ادخل يا (شعبان) تعالي افطر.

- يجيب(شعبان) ونظرات عينه تسبقه على الطعام سبقتك يا عم الشيخ..

بس ممكن أخذ بيضه ما إنت عارف أنا أحب البيض المسلوق.

- فيضحك (الشيخ فالح) ويسخر من(شعبان).

أيوه عارف ده إنت حتى بقيت شبهه

فينظر(صالح) (لشعبان) ويضحك مع والده.

- فينظر(شعبان) (لصالح) موجها كلامه له الله يسامحك يا(صالح):

- الله وأنا مالي يا عم (شعبان) وأنا جيت جمبك؟

- يسال (الشيخ فالح) وهو مستمراً في الضحك إيه (شعبان).

معلش القافية حكمت خير فيه إيه؟

فيطأطأ (شعبان) رأسه ويجيبه:

- خير يا شيخ...

(هارون) و(ربيع) لسه معدين حالا بعربيه (هارون).

- فيستعد الشيخ للقيام من مكانه والوقوف على قدميه ويقول:

كده يبقي خير..

طيب روح يا (شعبان) (لهارون) البيت وقله يعدي عليا بعد صلاه الظهر ضروري وقوله عمك بيأكد عليك بعد صلاه الظهر.

- يجيبه (شعبان) مع الانصراف للخارج حاضر يا شيخ بعد

الضهر.. مكررها ثانيه بعد الضهر.

ويذهب (شعبان) لمنزل (هارون) فتفح (رقيه).
- السلام عليكم. ازيك يا حاجه (رقيه) (هارون) موجود؟
- فتجيب(رقيه) متعاليه مع مصمصه الشفايف:
ازيك إنت يا (شعبان) خيرعاوز (هارون) ليه؟
- يجيب عليها مش أنا اللي عاوزه. ده (الشيخ فالح).
فتساله بغرابه:
- وعاوزه ليه الشيخ فالح؟
وهنا يظهر(هارون) من وراء (رقيه) متحدثا.
- استني بس إنتي ياما... خيريا شعبان.
يجيب (شعبان) ووجهه مملوء بملامح الجهل وعدم الفهم مع رفع حاجبيه للأعلى...
- معرفش! مقليش. هو قالي ابلغك تعدي عليه في البيت بعد الضهر.
وتقاطعه (رقيه) بعصبيه وغرور:
- وميعديش هو ليه مش هو اللي عاوزه؟!
- يقاطع (هارون) أمه قائلا استني إنتي بس ياما...
قله حاضريا (شعبان) هعدي عليه.

وينظر(شعبان) نظره استنكار لقول (رقيه) وينظر لها من فوق لتحت وينصرف.
- فتتعصب(رقيه) من نظره(شعبان) وتقفل بابها بعصبيه مع قولها:
شوف الراجل قليل الحياء بيبصلي ازاي.

وإنت وتنظر (لهارون) عازوك ليه (فالح)؟
- يجيبها (هارون) وهو ينصرف لغرفته معرفش ياما هيكون عاوزني في إيه ويلتفت برأسه للخلف ناظرا لها ويكمل كلامه:
لما اعرف هبقي أقولك.

ولم يمضي كثيرا من الوقت واقتربت الساعة من الواحدة ظهرا ويسمع طرق الباب من داخل منزل (الشيخ فالح) فتفتح (عنود) فتجد (هارون) أمامها.
- فيلقي (هارون) عليها السلام بعيون يملؤها الضعف والكلام:
اذيك يا(عنود)؟
- فتجيب (عنود) بكلمات بسيطة حتى دون رد السلام:
أبوي مستنيك بالمندرة.
- فيسألها (هارون) متعجبا من ردها:
طب ردي السلام الأول يابت عمي ويدخل متقدما للمندرة وهو ينظر لها.. هو أنا زعلتك في حاجه يا(عنود)؟
- فتجيبه (عنود) بأسلوب قاسي بعض الشيء:
وازعل منك ليه!
وتزعلني إنت اصلا ليه!
ولو على السلام فعليكم السلام
فيكمل (هارون) بخطواته مع هز رأسه يميناً ويساراً دلاله على عدم فهم رد (عنود) عليه ولماذا تعامله هكذا.
ويسمع عقله يتحدث ببعض الكلمات كبرتي وبقيتي عروسه يا (عنود)...
مش عارف ليه إنتي الوحيدة في الواحة اللي بفرح لما بشوفها..
وبحس بضعفي قدامك.

- فيدخل على عمه ويلقي التحية عليه:
السلام عليكم يا عمي.
فيرد (الشيخ فالح) عليه سلامه:
ثم يسأله (هارون):
- شعبان كان بلغني إنك عاوزني يا عمي.
- يجيبه (الشيخ فالح) ويبدأ في الوقوف والسير من خلف مكتبه الخشبي القديم ليجلس على الكنبة المقابلة (لهارون):
تشرب إيه الأول يا ولدي؟
يجيبه (هارون):
- اعفيني يا عمي معلش المرة دي. أصلي عندي كام مشوار لازم اقضيهم قبل العصر ويسأل عمه وكأنه لا يعرف شيء:
هو فيه حاجه يا عمي؟
- يسأله (الشيخ فالح) وهو ينظر مباشره لعينه:
كنت بتعمل إيه في إسكندرية يا (هارون)؟
- يجيب (هارون) بلهجه استهزاء بالسؤال:
وهو السفر للإسكندرية حرام ولا إيه (يا شيخ فالح)؟
كنت بعمل نفس اللي بتعمله يا شيخ.
شغل - قالها بلا مبالاة واستهتار.
- فينظر إليه (الشيخ فالح) ويقول بكل هدوء:
لا مش حرام يا ولدي ومقلناش حاجه إنك تروح تشوف تجارتك وشغلك.. بس يا (هارون) هو الشغل بيكون في نصف الليل وقدام البارات؟
- ويرد (هارون) بعصبيه ويبدأ في الوقوف إنت بتراقبني ولا إيه يا (شيخ فالح)؟
- يقاطعه (الشيخ فالح) مجاوبا:

اقعد يا هارون يا ولدي وهدي نفسك هما كلمتين اسمعهم وإنت حر في حياتك...

أولا إنت مش عيل صغير عشان أراقبك إنت ماشا الله راجل وتاجر وفيك عقل يوزن بلد..

ثانيا يا ولدي أنا سافرت في كل مدن ومحافظات مصر وأبوك كمان الله يرحمه لف مصر شبر شبر بس يا ولدي عمرنا دخلنا خمارات ولا غضبنا ربنا..

خد بالك من افعالك يا (هارون) يا بن الشيخ (شمس الدين) كبير الواحة.

- يقاطعه (هارون) مشيراً بيده ولا يعجبه الكلام معقبا على كلمه الشيخ شمس قائلا:

- الله يرحمه.

- فيكرر الكلمة (الشيخ فالح) ويترحم على أخيه ويستأنف حديثه المهم يا (هارون) اللي عاوز أقوله إنك مش ماشي باسمك وبس إنت شايل اسم العيلة كلها على اكتافك..

وعيلتنا يا ولدي عمر ما أحد مسك عليها غلطه ولا حد قال علينا كلمه.

- يقاطعه (هارون) مره أخرى بعصبيه مستعملا يده في التعبير: يعني هو أنا اللي خلاص يا (شيخ فالح) جيبت العيلة الأرض..

وبنبره تفاخر وتعالي أنا محدش يقدر يجيب سيرتي بكلمه.

وإذا كان على البار أنا كنت بقابل مقاول هناك عشان هابني بيت افرنجي وكنت بتفق معاه..

ثم أنا حر أعمل اللي أنا عاوزه يا (شيخ فالح) أنا مش عيل لسه حد هيقول لي اروح فين واعمل إيه.

هنا يفهم (الشيخ فالح) اتجاه الكلام ولكنه كان أذكى من أن

يذهب مع هارون في عراك بالكلمات دون جدوى.

وقال اسمع يا (هارون) هاقولك نصيحة وخليها دايماً في بالك..

الذكاء والعقل. عباره عن سلاح ..

بس سلاح يا أما يفيد صاحبه يا إما يقضي عليه..

الذكاء يا (هارون) يا يصيبك بالغرور ويخليك تقتل نفسك..

يأما يخليك علامة تلمع في سما الدنيا تنور للناس في الخير..

زي الدكاترة والعلماء والكتاب وغيرهم سابوا وراهم اسم الناس كلها عارفاه.

خد بالك يا (هارون) من افعالك بدل ما ذكائك يكون سبب نهايتك.

- يجيبه (هارون) بكل غرور:

متخافش يا (شيخ فالح) اسم (هارون) ابن شمس الدين محدش ها يقدرينساه وشكراً على النصيحة ممكن أمشي ولا فيه حاجه تاني ويبدأ في الوقوف ولا ينتظر حتى الإجابة.

ويبدأ في التحرك إلي خارج الغرفة للتوجه لباب المنزل.

- وقبل خروجه يناديه (الشيخ فالح):

(هارون).

ينظر (هارون) للخلف منتظرا.

- فيقول الشيخ آخر كلماته قبل أن ينصرف (هارون):

ياريت الناس متنساش اسمك زي ما قلت بس في الخير ويكررها مره أخرى...

في الخير يا (هارون).

ويمض (هارون) قدما ويخرج من باب المنزل ويغلق الباب من خلفه

وهنا تدخل (صفية) على (الشيخ فالح) وتقف أمامه وتضع يدها على كتفه وهو جالس.

- إنت عملت اللي عليك يا شيخ.

يجيبها (الشيخ فالح):

- (هارون) عمره ما كان كده (هارون) قلبه كان نضيف معرفش اتغيركده أمتي وازاي؟

- تجيبه (صفية):

(رقيه) يا شيخ..(رقيه) قلبها اسود والغل ماليه اسالني أنا عليها الحريم تفهم الحريم يا خوي.

ويختم (الشيخ فالح) كلامه بآية من آيات الله:

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أو يَقْتُلُوكَ أو يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

ويكرر (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

(وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

الفصل الثامن

بدء(صالح) في القراءة وتوسيع آفاقه ومعلوماته في تربية الذئاب وبدء يهتم (بكرشيف) أكثر من ذي قبل.

ووضع برنامج لأكله وبرنامج لرؤيته وحتى برنامج لترويضه.

وكان (صالح) لا يغلب أبداً في أكلة فهو ابن (الشيخ فالح) ومنزله كان به لكل أنواع الطيور حظيرة كبيره غنية بمختلف الأنواع.

وبدأ يعود الذئب على الأكل كل فتره حتى لخروجه من المنزل والذهاب للصحراء اخترع(صالح) رداءاً (لكرشيف) يشبه القناع للجسد كله من الجلد، وكان يغطي معظم معالمه التي تدل على شكله أو نوعه وكان عندما يسأله أحد عن (كرشيف)..

ولماذا يلبسه هكذا؟ كان (صالح) يجيب:

أصله كلب غالي وعنده حساسيه من الشمس والتراب لحد ما يكمل ٣ سنين.

فكان يأخذه للصحراء ليجري ويلعب ويقفز حتى تقوي عضلات جسده ويعلمه القفز... و(كرشيف) يكبر يوم بعد يوم.

أما في جانب جبال الموتى فكانت زوجه قائد القطيع المضيف مريضه واشتد عليها المرض منذ فتره حتى فارقت الحياة وحزن زوجها عليها حزنا شديدا لدرجة أنه لحقها بعد شهر ونصف مضرب فيها عن الطعام وكأنه ينتحر ليلحق بزوجته، وهنا لعبت الصدفة دورها فكان للذئاب عادات تصنيف فمنها الخادم ومنها من يولد ليقود وكان هناك قائد آخر قوي.

نعم هو ضيف عليهم ولكنه قائد ابن قائد فاستطاع مره أخرى أن يكون قائداً علي قطيع ذئاب مره أخرى بعد هروبه من جبل الدكرور وكان يذهب تارة وزوجته تارة أخرى ليطمئنوا على ابنهم (كرشيف) وقد اطمأنوا كثيرا عليه لما كانوا يرونه في كل مره.

حتى الصيد فكان(صالح) يجلب معه بعض الأحيان أرنب أو اثنين ويطلقهم في الصحراء ويجعل (كرشيف) يجري خلفها ليصطادهما.

وتوالت أحداث (صالح) هكذا يوم تلو الآخر تارة في الغرفة وتارة مع أبيه، وتارة في الصحراء يلعب مع (كرشيف)، وقد تغير وضع صالح مع الشيخ فالح أيضاً فزادت العلاقة بينهما ارتباطاً وجلوساً وتعلماً في وقت فراغه من (كرشيف)، وزاد أيضا مروره على حقول الزراعة ومزارع الموالح ومزارع الزيتون والتمور وكل الأعمال هناك.
ويقضي وقت جميل مع صديقه (فارس) وعمال أبيه فكان محبوباً كما احبه الناس أكثر.

وكما كان هناك من أراد حب الناس أكثر وجد آخر أراد معاداة الناس والقفز فوق كل شيء حتى العادات والتقاليد.
فكان (هارون) قد قرر وفكر وخطط لحياته الجديدة، وأول شيء بدأه (هارون) هو هدم منزله ومنزل أبيه لبناء منزل آخر على الطريقة الإفرنجية كما يطلق عليه بعض الناس.

وأول معاداه كانت مع عمه
فبعد هدم منزله غيَّر (هارون) في التصميم الجديد اتجاه المنزل

بعد أن كان باب المنزل يطل على منزل عمه أصبحت أسوار المنزل هي التي تقابل منزل الشيخ فالح وبني اسواراً عالية تحيط بالمنزل من كل اتجاه وأراد أن ينهي البناء في خلال سته أشهر.

كان (هارون) يريد أن يمتلك أكبر وأفخم بيت في الواحة وأرسل أمه إلي منزل خاله طوال فتره البناء أما هو فكان ينام في منزل صديقه وذلك لقضاء أطول فتره ممكنه معه للتخطيط في عمليه تهريبهما الأولي وكيفية تنفيذ طريقه العبور التي قلق منها (ربيع) قلقاً غير عادياً، فما يريده (هارون) كان يعتبر من أشباه المستحيلات ولا في افلام جمس بوند، أولا يريد حفر ممر على الحدود الليبية المصرية مسافة من ١٠ إلي ١٥ كيلو متر من داخل واحة (جغبوب) الليبية للدخول للأراضي المصرية عبر بحر الرمال الأعظم جنوب سيوه ويقوم بتغطيته بلوائح خشبيه ومعدنيه وإلقاء بعض الصخور والرمال عليه حتى يبدو طبيعياً وكان يحتاج لتنفيذ هذا الممر أو النفق لعدد هائل من الرجال.

فبالتزامن مع هدم المنزل القديم وبناء المنزل الجديد كان الملاحظ هناك أن (هارون) يستعمل رجال تفوق عمل المنزل بأربع مرات ولكن لا يجرؤ أحد على السؤال فكان جميع الرجال من خارج الواحة وجميعهم لا يتكلمون من بعضهم البعض فكان يعمل نهاراً ثلث العدد وينام الأخرين في بعض الخيام نصبها لهم (هارون) هناك بمكان عملهم وعندما يقبل الليل يبدأ النائمين في الاستيقاظ والاستعداد والتحرك لمكان حفر الممر، وكان الاتفاق مع المقاول أن يتم الإنتهاء من المنزل والممر سويا في يوم واحد بعد سته أشهر.

وكان استياء (صفية) واضح وضوح الشمس لما يفعله (هارون) لأن منزله الجديد حجب الرؤية الواسعة ورؤية الصحراء الشاسعة

من أمام منزلها وبالأخص أن منزل (الشيخ فالح) كان مبني علي تبه صغيره تعلو عن مستوي الأرض بقليل فعليت أسوار منزل (هارون) بمثابة ٤ أدوار حتى حجبت الرؤية وانفجرت (صفية) مع زوجها في صباح يوم وهو خارج كعادته لمباشره ارضه واعماله.

بعد أن وضعت عباءته فوق كتفيه ومسحت عليها بيدها يميناً ويساراً سألته وهي مازالت خلفه:

- شايفاك ساكت على اللي بيعمله ابن اخوك يا (شيخ فالح).

- عوزاني اعمله إيه يا(صفية)؟ ملكه وهو حر فيه.

تجيبه (صفية) بانكسار:

- مقلناش حاجه يا شيخ بس بالأصول وإنت المفروض ما تسكتش على ده.

فيسألها (الشيخ فالح):

- أيوه يعني عوزاني أعمل إيه أروح أقوله يابني عيب إنك تهد بيتك وتجمل شكله وتبني في ملكك وبعدين الواحة كلها يا(صفية) خلاص بتتمدن وتتحدث حبه حبه.. ما أنا قلت لك قبل سابق كل جيل بيتغير عن الجيل اللي قبله..

وأنا عارف (هارون) عاوز إيه! وعاوز يوصل لإيه.

- طب فهمني يا (شيخ فالح) بدل ما أنا مقهورة على بيتنا اللي اتحاش عنه النور.

يوضح لها (الشيخ فالح) بعض من الصورة:

- (هارون) متخيل إني هروح له أديله محاضره في بيت أبوه وجده والمزرعة اللي شال شجرها من جدوره اللي بقاله قرن بتدر عليهم خير عشان البيت الجديد وده أنا عمري ما هكلمه فيه ده ملكه وهو حر، وكمان السور العالي اللي بناه في وش بيتي فاكر أن (الشيخ

فالح) ممكن يتكلم على قله ذوق الناس وعدم احترامهم حق الجيرة وساعتها لنفس السبب هيحاول يضيع هيبتي بقله أدبه قدام الناس ويقول لي بعلو الصوت ده ملكي. وإنت هتتحكم في أملاك الناس يا (شيخ فالح)...

والمصيبة إني مش هقدر أرد عليه احتراما لنفسي ولأخوي الله يرحمه لأن ده لو حصل هتبقي سيرتنا على كل لسان ويقولوا إنه جه اليوم اللي شافوا فيها حد ماسك في خناق الثاني في عيلة شيوخ الواحة وده عمره ما حصل من أيام شمس الدين الكبير يا(صفية) أول شيخ للواحة دي..

وبالأخص أن إحنا مش غرب يا(صفية) ده ابن أخوي..

بس هاقولك برضه أنا ليه صابر علي (هارون)!

لأن خلاص مبقاش في العمر كتير وأنا كنت بفكر أهد البيت بس قلت اسيبه (لصالح) بعد ما أموت يبنيه على مزاجه.

تقاطعه (صفية):

- ربنا يديك طوله العمر يا شيخ...

وربنا يعديها علي خير أنا مش عارفه الواد طالع كده لمين؟!

يضحك (الشيخ فالح) وينظر (لصفية):

- هيه ما إنتي قلتيها قبل كده يا(صفية) أمه قسِّت قلبه على الدنيا وعلي نفسه قبل أي شيء.

خرج (الشيخ فالح) فوجد(صالح) بجوار(شعبان) يتحدثون على منزل (هارون) باستياء فنظر إليهم الشيخ ووجه كلامه إلى (صالح).

- صباح الخير يا ولدي أدخل لأمك يا(صالح) واسألها أبوي كان بيقولك إيه وهو خارج وحاول تفهم اللي أنا قلته.

وإنت يا(شعبان) تعالى معاي اتمشي لك شويه اليوم وطلع الكارته لحسن مش قادر أمشي.

يقفز (شعبان) من الفرحة:

- الكاررررته حمامه يا شيخ.

يخرج (شعبان) الكارته ويساعد (الشيخ فالح) في الصعود ويمسك بلجام الحصان بكل غرور وكأنه راكب مرسيدس ويبدؤون في السير..

وفي هذه الأثناء بينما كان البيت الجديد يعلو ويكاد أن ينتهي البناء بسرعه والممر أيضا يكاد أن يتم الانتهاء منه ولا أحد يشعر بما يجري هناك لأن السيارات تذهب ليلا بالعمال ويعودون صباحا محملين الرمال ليستعملونها في البناء ..كان (هارون) يسافر إلي ليبيا ويعود كل أسبوع مره فقد كان من بعض السكان الأوائل في الواحة من بعض القبائل الليبية وهناك علاقة نسب ببعض العائلات هناك و(لهارون) صديق يذهب إليه أحياناً لتغيير الجو والتخييم معاً في الصحراء ليقضوا يومين أو ثلاثة في الأجواء الخالية النظيفة ومعهم الخمر والبيرة والحشيش، ولا يفكرون في شيء سوي المتعة والشرب فقط وكان هذا الشخص يدعي (فركاش).

وأثناء فتره البناء زادت زيارات (هارون وربيع) إلي (فركاش) وكان كل مره كان (هارون) يعطي لـ (فركاش) مالاً كي يشتري له بعضاً من مخدر الحشيش بحجه التوجيب مع بعض أصدقاؤه في الواحة وكان كالعادة فركاش يجد ما يطلبه (هارون).

حتى اقترب الانتهاء من بناء الممر وبقي من الزمن شهرين و(هارون) يريد أنا يبدأ مباشره بعد الانتهاء، فقد كانت من صفاته عدم إضاعة الوقت.

وفي ذات مره وهو يجلس هو وصديقه مع (فركاش) في وسط الصحراء وجهه (هارون) كلامه إلي (فركاش) قائلا:

- بقولك يا (فركاش) إنت بتجيب الحشيش الحلو ده منين؟

- من واحد حبيبي هو اللي بيصنعه يعني بجيب من source على طول.

- يضحك (هارون) على كلمه source عالياً ويستأنف كلامه ماشي يا عم المثقف إنت وصلت لل source يا (فركاش)؟!

- وهنا يقاطع (ربيع) بغباء وهو ممسك سيجار بيده يجهزها للتدخين ويضع بها بعض من الحشيش:

يا خويا عمال تضحك إنت و(فركاش) وبرص وما برصش وأنا قاعد زي خبيتها من برص ده المعلم.

- يضحك هارون ويجيب ربيع source يا جاهل يعني المصدر الرئيسي يعني المصنع بنفسه، ويضحك (فركاش) وهارون على غباء ربيع .

ويكمل هارون حديثه مع فركاش طيب ما تعمل فيا خدمه وتعرفني عليه فيه ناس عاوزين يشتغلوا معاه عجباهم الحاجة بتاعته.

- فيجيب فركاش بتوتر لالالا يا واد عمي أخاف هو اه حبيبي بس أخاف اسمي يجي كده ولا كده في شيء اروح بلاش وهنا الحكومة غير

- متخافش يا (فركاش) إنت اسمك بعيد .

إنت بس الأسبوع الجاي خدلي منه معاد على يوم الخميس..
وهو هتلاقيه يعرفني وقوله إني عاوزه في شغل حلو.
وصمت هارون قليلا مره أخرى ليقول(لفركاش):
اه ولو اتفقوا مع بعض هجيبلك من الراجل ده حلاوة تقيله.
- (فركاش) بنظرات يملؤها السؤال والطمع كام يعني؟؟
- أووووه حلاوة كبيره متقطعش برزقك..
يعني مش هيقلوا عن ٥ الاف دينار.. حلوين؟
- تتسع حدقيه(فركاش) ويقفز من مكانه:
يالا بينا هنروح له دلوقت.
- ينظر (هارون) (لربيع) مع علو صوت الضحكات ويقول شوف الواد نط ازاي لما سمع سيره الفلوس...
اقعد اقعد يا (فركاش) خليها يوم الخميس.

وتستمر الضحكات والشرب والعربده علي إضاءة النار أمام الخيمة في الصحراء حتى الصباح، ثم ينصرف هارون وربيع بسيارته عائدين للواحة.

وفي الطريق يخبر ربيع بأنه سيسافر غداً للقاهرة للأهمية وأن ربيع سيبقي لمتابعه سير عمليه البناء في المنزل والممر فقط ٣ أو ٤ أيام حسب الظروف.

وفي اليوم التالي صباحاً اتجه (هارون) لسيارته وممسكا بيده شنطة صغير سوداء وبدأ بالسير في خارج الواحة متجهاً للقاهرة وكانت الساعة توشك على التاسعة صباحا.

كانت المسافة بين القاهرة والواحة تقارب من الـ ٨٠٠ كيلومتر

تقطعها سيراً السيارة في زمن ما يقرب من الـ ٩ أو ١٠ ساعات حسب سرعه السير.

وصل (هارون) إلي القاهرة في حوالي الساعة الـ٧ مساءا وتحديداً بفندق هلنان شبرد، وكانت عادته حين السفر للقاهرة ينزل في هذا الفندق.

توجه مباشره لاستقبال الفندق وسال الموظف:
- شوفلي أوضه بالله عليك لحسن سايق بقالي ١٠ ساعات لما ضهري طلع له اتب عاوز ارتاح.

وفي استقبال الفندق تعجب الموظف من هيئة هارون وملابسه فكان رده علي هارون بنظره بها بعض التعالي والعنصرية:
- للأسف ياااااا... معندناش أوض فاضيه.

استثارت نظرته وطريقه كلامه (هارون) بشده وبدأ يغضب ويتحدث بعصبيه موجها كلامه للموظف:
- اسمع يااااااا.. لما تكون مش عارف إنت بتتكلم مع مين ولابس كده ليه.. المفروض اللي عينوك يعلموك إنك تسال لكن العيب مش عليك.
ويظهر من الباب الخلفي للاستقبال متقدماً بسرعه ليري من المتحدث ولماذا يتحدث بصوت عالي.
فاذا به أستاذ (وليد) مدير قسم الاستقبال وكان يعرف (هارون) جيدا

- مسيو (هاروون).. حمد الله على السلامة,
مالك مسيووو (هارون)؟ مين اللي مزعلك ومخليك تزعق كده؟
- أهلا يا استاذ وليد..يا سيدي الأستاذ ياااااا بتاعك ده شكلي مش عاجبه ومش راضي يديني أوضه وبيقولي يااااااااا ابقي حفظه اسمي بالله عليك بدل ما أخده معايا الواحة احفظهوله بطريقتي.

ينظر له الموظف باستياء من كلامه ولكن مع عدم فهمه لماهية الشخص الذي أمامه وأن مديره أيضا يناديه بالميسيو يعتبر أغرب شيء رأاه منذ بداية عمله في هذا المجال.

وعلى الفور قام الأستاذ (وليد) بسؤاله:

- غرفه ولا جناح يا ميسيو؟

- لا غرفه المرة دي لأني بروحي.

وعلى الفور قام بإعطائه مفاتيح غرفته وانصرف متجها لغرفته فقد كان هارون يحفظ الفندق بأكمله.

وبعد انصرافه نظر الأستاذ (وليد) لموظف الاستقبال ليقوم بشرح كل شيء ويحدثه عن (هارون).

وداخل الغرفة اتجه مباشره للهاتف متصلاً بخدمه الغرف لطلب زجاجه ويسكي من نوع فاخر وبعض المشويات المشكلة ثم دخل ليأخذ حَماماً ساخن وبعد الحمام استلقي على كرسي موجود داخل الغرفة وكانت خدمه الغرف قد أحضرت له ما طلب وبدء في شرب أول كأس وتناول بعض قطع الكفتة الساخنة ومشاهده التلفاز.

أمسك بتليفون الغرفة مره أخرى وطلب رقماً كان مدوناً في الدفتر الصغير. الذي يحمله في جيبه:

- السلام عليكم.. ممكن أكلم أستاذ (أحمد)؟..

قوليله (هارون شمس الدين).

وينتظر (هارون) لحظات:

إزيك يا باشا.. أخبار معاليك إيه؟..أنا الحمد لله بخير.. لا لا أنا مش في الواحة أنا في مصر قاعد في شبرد.

لا اطمن خير يا(أحمد) بيه.. أنا عاوز أقابلك ضروري، ومعاك سيادة السفير في موضوع مهم.. لا لا لا يا (أحمد) بيه الكلام مينفعش في التليفون.. ده كلام مهم ولازم أقابلك وأقابل سيادة السفير...

طيب هاستني تليفونك يا (أحمد) بيك أنا في شبرد غرفه على النيل إنما إيه هواها يرد الروح.. لو تفرحني وتشرفني إنت وسياده السفير.

تمام تمام يا (أحمد) بيه هاستني أوامر معاليك...

وعليكم السلام اتفضل يا باشا.

ويغلق سماعه التليفون ويمسك كأسه في يده ويخطوا بعض الخطوات إلي سور بلكونه الغرفة ويبدأ بالنظر للنيل ويسرح في الماء والمباني التي من حوله.

وفي صباح اليوم التالي قرب أذان الظهر يستيقظ من نومه على جرس التليفون يفتح عينيه ويمسك بسماعه الهاتف:

الو الو.

وعندما يسمع صوت المتحدث يتخذ وضعيه الجلوس حتى يركز فيما يسمع:

أيوه أيوه معاك يا (أحمد) بيه. تمام تمام الساعة ٩...

فندق النيل هيلتون آخر دور في مطعم البريفيدير خلاص الساعة ٩ بالتمام هتلاقيني هناك.. سؤال يا (أحمد) بيه سعادة السفير جاي معاك؟..

أيوه أيوه بس بتأكد. شكرا يا (أحمد) باشا.

ويغلق السماعة ويستعد لبداية يومه، وفي الساعة التاسعة إلا ربع كان (هارون) بكامل أناقته يرتدي بدله كامله مع رابطه عنق أنيقة، ومتواجد في مطعم البريفدير بروف النيل هيلتون حيث الجو الهادئ والمنظر الخلاب ويتقدم بخطي بطيئة ناحية مسئول المكان ويسأله بهدوء:

- فيه حجز باسم أستاذ (أحمد نوير).

فيجيبه المسؤول:

أيوه يا أفندم اتفضل ويتقدمه حتى يصل للطاولة ويجلس على كرسيه متأملاً هدوء المكان.

ويتقدم النادل علي الطاولة:

- تحب تشرب حاجه يا افندم؟

ينظر له بتمعن:

- اه هاتلي قهوة.

ينصرف النادل وينظر (هارون) في ساعته فيجدها اقتربت من التاسعة، ومن مدخل المطعم يظهر أستاذ (أحمد) ومعه سعادة السفير فيقف استعدادا لمقابلتهما وتحيتهما.

وبعد أن جلسوا على الطاولة أشار أستاذ (أحمد) للنادل وطلب:

- واحد مارتيني هنا وأنا هاتلي لونج ايلاند تي وقبل انصراف

النادل إشارة له (هارون) أن يخفض رأسه فيريد أن يغير القهوة بدون أن يسمعه من يجلس معه فقال للنادل:

- سك على القهوة وهاتلي اللونج تي ده.

بدأ السفير بالكلام موجها حديثه إلي (هارون) ازيك ميسيو (هارون)؟

- ازيك إنت يا خواجة؟

- لا أنا مش بحب خواجة دي.. أنا عايش في مصر عمر كتييير (هارون) بتكلم عربي أحسن منك.

- فيضحك (هارون). أمال الله يا خواجة من عاشر القوم.

- المهم (هارون) فيه حاجه جديده ظهرت (أحمد) قالي إنك عاوزني ضروري.

تلكأ (هارون) في الرد:

- هو من ناحية حاجه ظهرت فمفيش حاجه ظهرت، لكن هتظهر أنا شغال عليها وعاوز بس مساعدتكم معايا.

- مساعده عاوز إيه يا(هارون) فلوس؟

- يقاطع (هارون) لا لا يا باشا فلوس إيه؟ أنا الحمد لله الفلوس موجوده وخير ربنا كتير,

- الله ما تقول يا (هارون) عاوز مساعده فيه إيه؟

وهنا يقترب النادل من الطاولة ويضع لكل منهم مشروبه.

ينظر (أحمد) إليه متعصبا بعض الشيء:

- أخلص يا (هارون) سعادة السفير مش فاضي والباشا عارف أن إحنا هنا ومستني اطمنه.. ما تقول فيه إيه؟

- حاضر يا (أحمد) بيك هقول اهو...

الكلام بالراحة عشان الموضوع مش بسيط...

أنا وقعت علي خريطة بتقول أن فيه مقابر ملكيه من أيام ما بنو معبد آمون بس مش قادر احدد الموقع بالضبط.

- عاوز حد يساعدك يعني؟

- لا لا مش بالضبط..

يساعدني دي لما أوصل للمكان ونبدأ نفتحها أن شاء الله..

الموضوع باختصار أنا هبدأ في الحفر كمان شهرين في اكتر من نقطه في الواحة بحجه إني هابني شويه بيوت جديده بحجه يعني تنشيط السياحة للواحة.. إنت عارف الواحة بدأت تشد الناس علينا لأكثر من سبب.. ففكرت إني أعمل عمليه تمويه يعني بأني ببني كامبات وبيوت للسياح اللي بتزور الواحة.. واحفر براحتي.

- يقاطعه السفير أوك كلام جميل أنا هساعدك بإيه؟

- أنا عاوز الخواجات اللي بينزلوا الأقصر وأسوان نجيبهم الواحة يوم يتفرجوا عليها، ونعالجهم ونضبطهم ويرجعوا تاني وبكده نعمل أي حركه في الواحة عشان الناس متحسش باللي أنا بعمله...

والداخلية كمان تتشغل بالسياح وتسيبني أنا براحتي.

ينظر السفير لأحمد ويقول هيا فكره مش بطالة بس ها نعملها ازاي؟

- ما هو عشان كده كلمتك تتوسطلي عند الباشا الكبير. هو قادر يعمل أي حاجه ويا سلام كمان لو السياح دول عواجيز شويه عشان المصداقية يعني انهم جايين الواحة عشان نشد عضمهم بميه العيون والدفن في الصحراء اللي تشد العضم وترجعه لأيام الشباب .. وأنا عارف أن الخواجات يحبو صحتهم موت ويعملوا أي حاجه عشان يرجعوا زي ما كانوا.

وأنا كمان ها أوفر لهم اتوبيسات محترمه تنقلهم من مطروح للواحة وترجعهم تاني قلت إيه؟

فيستوقف الكلام (أحمد) قليلاً ويساله:

- وإنت ها تعمل ده كله واتوبيسات على حسابك! وكسبان إيه أن شاء الله؟.. الموضوع يا(هارون) ممكن يبقي قلق اكتر من اللي إنت متخيله إنت ممكن تحتاج رحله أو اثنين كل يوم والتاني.

- طب اديك إنت قلت كل يوم والتاني وهو ده مش مكسب كمان للدولة؟ انهم يشغلوا خط طيران جديد من الأقصر لمطروح، أما بالنسبة لمكسبي أنا مكسبي معاكم بس قول يا رب أوصل بسرعه لمكان المقابر..الموضوع عاوز له وقت ولازم ناخد فيه قرار.

- يرد السفير أنا عن نفسي الفكرة عجباني وإذا كان علي الباشا أنا هعرف أقنعه.

ويبدئون في الانصراف ومن خلفهم (هارون) بعد أن يدفع حسابه ويمضي.

وفي اليوم التالي استيقظ مبكراً وذهب لمقابله صديق قديم ليتحدث معه في شراء ٢من الاتوبيسات السياحية الفاخرة من أحدث موديل فكان (هارون) يمتلك كثيرا من المال من تجاره أبيه ومن تراث الفراعنة وكان يصرف بسخاء.

يعود للواحة ولا أحد يدري بماذا يفكر وماذا سيفعل وماهي قصه هذه السياحة والاتوبيسات..

يصل (هارون) لمنزله ويجد (ربيع) يتوسط العمال ويباشر أعمال البناء وممسك بيده سيجاره ملفوفه.

- حمد الله على السلامة يا صاحبي.

- أنا مش منبه عليك ألف مره متشربش الهباب ده وإنت وسط الناس؟

- أنا جوة سور البيت يا (هارون).

- يا سيدي لا جوه ولا بره.. متخليش الناس تاخد عنك فكره إنك حشاش.. ياد افهم. وبعدين الكيف دايماً في راسك مش في جيبك.

فهمتك الكلام ده مليون مره محدش هيفتش دماغك ويشوف إنت شارب إيه، لكن هيفتشوا جيبك ويشوفوا فيه إيه وساعتها ها تروح بلاش.

- سلمها لله يا صاحبي المهم سبع؟

- طبعا سبع (هارون) من أمتي كان ضبع؟..

يالا بينا أنا محتاج أنام وأغير هدومي أنا تعبان من طول الطريق عشان بكره كمان لازم نروح (لفركاش).

- علطول كده يا صاحبي طب ريح يومين؟

- يومين إيه اللي هريحهم بكره الخميس إنت ناسي عندنا معاد مهم ؟

- معاد! معاد إيه اللي عندنا بكره؟

- أووووه يالا يا ربيع نوصل البيت الأول وبعدين افهمك.

ويركب معه ربيع السيارة ويمضيان معا إلي منزله.

وفي اليوم التالي مبكرا يستيقظ هارون وربيع ويتجهان لمقابله فركاش، يستقبلهما فركاش ويبدأ في سؤال (هارون):

- أمال فين الراجل اللي قلت عليه؟

- يضع يده على كتف (فركاش) تعالي بس تعالي.. ما هو الراجل

موسطني أنا في الموضوع.. أصله مبيحبش يتكشف على رجاله.
ويضحكون ويستقلون السيارة مره أخرى ويبدئون بالسير في قلب الصحراء مع دليلهم(فركاش) لمده ١٠ دقائق.

وعلى مرمي البصر يجدون خيمه بدويه كبيره الحجم ويحيطها بشكل دائري أعمده وإسلاك بارتفاع حوالي المتر ونصف من الأرض ولها مدخل واحد ليس بباب وإنما مسافة ٤ أمتار بين عمودين لا يمتد بينهما أي أسلاك أو قواطع،وفي المحيط الداخلي بعض الأغنأم والجمال.
تقف السيارة أمام هذه الخيمة وينزلون منها جميعا،ويلقون التحية على من داخلها وكانوا يزيدون عن ٥ أشخاص،
ويتجه (فركاش) مباشره إلي رجل متكئ في الخيمة على جانبه قمحي البشرة يتراوح طوله بحوالي ١٨٠ سم، يتدلى من نهاية صدره كرش ليس بالمترهل، عمره ما بين الـ ٥٠ والـ ٥٥ عاماً، ويعتدل هذا الرجل في جلسته استقبالا لهم.
- هذا الشيخ (دومان)...
ها دول يا شيخ (هارون) و(ربيع) اللي كلمتك عنهم.
- يا هلا يا هلا استريحوا يا ولدي.
- لأحد أبناؤه يا(ركين) قهوة يا ولدي للضيوف.

يأتي (ركين) بالقهوة لضيوف الشيخ ثم يأمره الشيخ بالانصراف بصحبه الجميع لذبح جدي أو تيس وشويه للغذاء وتركه بمفرده مع (هارون)، ينصرف الجميع ويبدأ هارون بالحديث:
- ملوش لزوم يا شيخ أنا جاي في كلمتين وهنمشي علطول.

- قول كلامك يا (هارون) لكن ده واجب الضيافة إنت أول مره تشرفني.

يلتفت يمينا ويسارا فيجد الجميع اختفوا عن الأنظار,

- مالك يا ولدي متخافش اصحابك بخير بيجهزوا الغدا..

إنت طلبت تقابلني ولولا إني عارفك واعرف (فركاش) ماكنتش تقدر تقرب حتى مسافة ١٠ كيلو من الخيمة دي.. خير يا (هارون)؟

- خير خير يا شيخ (دومان) على طول ومن غير لف ودوران أنا عاوز اشتغل معاك واخد كميات كبيره وابقي أنا راجلك في مصر.

- يضحك دومان شوف يا (هارون) أنا عارفك وعارف اصلك وعارف إنك تاجر ابن تاجر واعرف أبوك وعمك واعرف كمان قصه جبل الدكرور واعرف اللي كان بيحصل فوق كمان.

تتسع عيناه لصدمته مما سمع.

- فوق! فوق فين يا شيخ؟

- اسمع يا (هارون) أنا عارف إنك شاطر وعاوز تكبر بسرعه بس التجارة دي خطر وأخطر بكثير من الآثار.

- آثار آثار إيه بس يا.....

- يقاطعه (دومان) اسمع يا (هارون) أنا مليش دعوه بالآثار ولا أحب اشتغل فيها ..أنا أحب أصنع ده - ويخرج من جيبه فرش حشيش كامل - أما الآثار وخلافه لا أحبها ولا تحبني ولا فاضي للحفر وتعب القلب وقلبة الدماغ.. بس الأول يا (هارون) لازم تعرف إنك صعب تعدي الحدود من هنا بكميه كبيره أوعي تكون فاكر أن الربع كيلو اللي بتعدي بيه كل فتره ده هيبقي زي كميه حتى لو بسيطة.

- شوف يا شيخ ها اعرض عليك عرضي ويا ترفض يا محدش فينا شاف حد.

أنا عاوز كميات كتير وهاخد منك أي كميه وأي أطنان وخد الضمان اللي يريحك وفلوسي كاش كل مره، وسلمني في المكان اللي تحبه بس لو تقدر يكون قريب من المكان اللي عنده خيمه فركاش...

وغير كده لا شفتك ولا تعرفني قلت إيه؟

- طب وها تعدي بيها ازاي؟ هنا الجو أصعب بكثير والحدود أصعب أنا خايف عليك.

- شوف يا شيخ أنا لا هسألك ها تجيبه منين ولا بتصنع فين وأنا بقي ادخله ازاي دي بتاعتي أنا اتفقنا؟

- كلامك موزون يا(هارون) أما نشوف.

- اه ودايماً التسليم بعد نصف الليل وبعيد عن الليالي القمرية.

- برضه كلام موزون يا (هارون) ماشي وعاوز تبدأ بكميه قد إيه؟

- خليها طن أول مره...

ونشوف بعدين الكميات بس أن شاء الله دايماً في الزيادة

- طن إيه يا (هارون) اللي هتعدي بيه الحدود؟ إنت كده مجنون رسمي..أنا فكرت أن اخرك ١٠٠ ولا ٢٠٠ ولا حتى ٣٠٠ كيلو لكن طن.

- اللي يأخذ كيلو يا شيخ (دومان) يأخذ ١٠٠ ألف كيلو متخافش أنا عامل حسابي وأنا اللي هستلم منك بنفسي كل مره.. إنت بس قلي حسابك كام؟ وعاوزه باي طريقه؟

وأنا ها اجهز حالي وابقي اجيلك تاني.

- خلاص ماشي يا (هارون) اتفقنا يا ولدي.

وهنا يعلو صوت (دومان) فين يا (ركين)؟

- خلاص اهو يا بوي.

وخلف الخيمة ببعض الأمتاركان (ركين) والجميع يجلسون أمام

شواية معلق بها ذبيحه صغيره كامله النضج جاهزة للأكل.

يدخل الليل وينصرف (هارون) و(ربيع) عائدين للواحة. متحدثين فيما بينهم عن سفر آخر ضروري للإسكندرية لبيع باقي مخزون الذهب لحاجتهم لكل المال الذي يمتلكونه.

- اسمع يا (ربيع) بكره بالليل تاخد عربيتي وتطلع على مخزن مزرعة الزيتون وتحاول ترص كل الذهب الموجود في مخبأ العربية وتجيبها لي قبل الفجر.

فكان بالسيارة مخبأ سري في الصندوق يتسع لطن ونصف من سبائك الذهب وزن ال ٥كيلو جرام ولم تكن كميه الذهب بالطن أو أكثر بل كانت أقل ولكنها تساوي مال وفييييير يجعل (هارون) يشتري ما يريد ويفعل ما يريد في هذا الوقت، وكان (هارون) يتعامل في الإسكندرية مع أكثر من تاجر لبيع هذه السبائك.

- شوف يا (ربيع) هنزل مع بعض الإسكندرية نبيع الذهب هتاخد شنطة وتنزل على مصر توصلها هناك لواحد هاديك عنوانه و تسلمها له يدا بيد هو مستنيك، وترجع على الإسكندرية تأخذ الشنطة اللي ها سيهالك هناك في الشقة وتروح للمعلم (زقزوق) أنا كلمته وأنا في مصر واشتريت بيت هناك ومخزن كبير في منطقه متطرفة شويه في عجيبة لسه معمرتش.. قلتله ها اعمله مخزن وسكن للعمال..تاخد منه مفاتيح البيت والعقود وتحفظ المكان.. وترجع على الواحة وأنا هاخد باقي الفلوس وارجع على الواحة أباشر الشغل.. على ما تخلص مهمتك وترجعلي عشان ندخل على المهم.

- والله أنا خايف من اللي بتعمله ده يا (هارون) وخايف لا تضيع الفلوس على الفاضي.

- ٠ فلوس إيه يا حمار إنت اللي ها تضيع وهيا دي فلوس بكره

تشوف الفلوس الصح ..نفذ بس اللي بقولك عليه ومتزودتش حاجه من عندك .. وبلاش سهر وشرب اليومين دول.. لا في مصر ولا إسكندرية فاهم يا (ربيع) ولا أكد عليك.

- خلاص فاهم فاهم ربك يستر أن شاء الله.

أما في الواحة فقد اقترب المقاول من تسليم المنزل (لهارون) فالباقي من الوقت حوالي أسبوعيين فقط وبدأت معالم المنزل في الوضوح، عباره عن فيلا كبيره مكونه من ٤ طوابق تحيطها الأشجار من كل جانب وبعد الأشجار سور عالي يحجب الرؤية من الخارج ويعطي الفيلا كثيرا من الخصوصية وبوابه حديديه كبيره تزيد عن ١٠ أمتار.. وبالنسبة للنفق أو الممر المشقوق فكان العمل يجري علي قدم وساق ومع أن العمل به كان ليلاً فقط.. من آخر ضوء بالنهار حتى أول ضوء ..إلا انهم كادوا أن ينتهوا منه.

كان عباره عن طريق يشبه المدق بعمق ٣ أمتار وعرض ٣ أمتار على جانبيه مطعم بسندات خشبيه وحديديه لتقويه جوانبه الرملية من الانهيار في أي لحظه في أوله ونهايته يوجد انحداراً تدريجياً علي مساحة ٢٠ مترا حتى يستوي ويستقر الطريق على وتيره واحده أما من أعلى فيغطي بألواح حديديه تغطي العرض وتزيد بنصف متر من كل جانب حتى تثبت على ارض الصحراء الطبيعية مغطاة برمال الصحراء حتى تخفي معالم النفق تماماً وكأنه لا شيء هناك أما بالنسبة للمدخل والمخرج فقد كان مصمم في نهاية كل لوح حديدي من جهة المدخلين أكثر من فتحه حتى يتثنى لهم وضع خطاف بها متصل بسلسه ويعلق في مؤخره السيارة وشده بطريقه مسطحه فيظهر الانحدار لتدخل السيارة ثم يعودون بغلقه كما كان

ووضع الرمال مره أخرى وكأن شيء لم يكن.. وتسير السيارة داخل النفق حتى اخره وتعبر الحدود وتخرج من الاتجاه الآخر ولا يشعر بها أحد.

استنفذ هذا النفق مالا كثيرا من (هارون) كان جميع العاملين مع (هارون) في البناء سواء المنزل أو النفق من السودان واثيوبيا، وكانوا لا يعلمون بأي منطقه أو أي مكان يعملون فيه سوي انهم في مصر.

وقد جلبهم جميعا بطريقته الخاصة ونقلهم على دفعات بسيارات نقل، وكان يوفر لهم كل شيء وبعد إنتهائهم من البناء أعادهم من حيث أتو وهم لا يعلمون أي تفاصيل عن المكان الذي تواجدوا فيه سوي المال الذي ربحوه في هذا المكان ومن وهذا العمل.

الفصل التاسع

انتهي تماما بناء المنزل والنفق ومر أكثر من أربعه أشهر منذ آخر لقاء مع أستاذ (أحمد) وسعادة السفير وما زال الرد لم يأتي بعد بالموافقة وبدء (هارون) يشعر بالقلق لقد استنفذ بناء الفيلا والنفق أكثر من نصف مال (هارون) وتم استلام أول شحنه من الشيخ دومان ودفع ثمنها بالكامل وتم تجربه النفق وتخزين الشحنة في بدروم أسفل الفيلا مصمم خصيصاً بباب سري خلف الفيلا فقد استعمل (هارون) فعلا ذكائه في تخطيط وبناء كل شيء علي أكمل وجه.

ولكن بدأ القلق يساوره فاقترب فعلا من الإفلاس التام لولا بيع محصول التمر الجديد فقد أعطته هذه الأموال دفعه للأمام لبضعه أشهر، وكان (ربيع) دائما يزيد من توتر وعصبيه (هارون) بكثره الندب ولوم صاحبه على ما وصل الحال إليه.

أما في منزل (الشيخ فالح) فقد اقترب (كرشيف) من أن يكمل عامة الأول وازداد حجمه شيئا فشيئاً، و(صالح) كل فتره يغير القناع الذي اخترعه (لكرشيف) بمقاس أكبر حتى يتناسب مع حجمه الجديد و(كرشيف) يسير في الواحة وكأنه كلب مدلل يقبض على رقبته طوق من الجلد القوي متصل بسلسلة حديديه أخرها في يد (صالح)، وكان (كرشيف) يحفظ وجوه معظم سكان الواحة واكثرهم (فارس) وذلك لأنه أكثر شخص بعد (صالح) كان يجلس معه وكان يقوم بتدريبه في الصحراء مع (صالح) على الصيد.

وهنا يبدأ (فارس) بتحذير (صالح):

- خد بالك (كرشيف) ببيكر وهيبدأ يعوي قريب ها تعمله إيه بقي يابو الأفكار؟ ها تعمله لجام؟

- والله إنت اللي أبو الأفكار كانت تايهه عني فين دي؟..

أيوه هعمل له لجام.

- لجام إيه يا(صالح) اللي ها تعمله لديب كده ها تموته

- استني بس يا(فارس) ما إنت قلتلي قبل كده أن القناع اللي أنا فصلته ها يموته ويخنقه ومحصلش حاجه اهو، سيبني بس أفضى نفسي وأفكر له في حاجه ها تعجبك.. أنا مزنوق بس اليومين دول عشان الأمتحانات وعاوز اجيب مجموع كويس عشان ادخل كليه التربية بمجموع مرتاح.

- ما فكرتش ها تعمل إيه في (كرشيف) لما تدخل الجامعة؟

- والله يا (فارس) شوف أنا فكرت وقررت وإنت أن شاء الله يعني إنت ها توافقني عليها.

- وأنا أوافق ليه؟ أنا مالي

- لا ما هو إنت مش مالك.. إنت طرف في الموضوع والوحيد اللي (كرشيف) بيحبه زيي.

- اسمع يا صالح أنا مينفعش اخد (كرشيف) عندي.

- يا عم مش هتاخده عندك ولا حاجه أنا هاقولك.

مش إنت بتروح الجامعة أسبوع وترجع الواحة أسبوع؟

- أيوه يا(صالح) بس ده عشان أحاول أوفق بين الشغل والجامعة

- تمام وأنا مش عاوز منك غير الأسبوع اللي إنت موجود فيه في الواحة تيجي تشقر عليه وتحطله اكل وميه كل يومين تلاته.

- طيب والأسبوع إلي ها ابقي فيه في الجامعة يا ذكي.

- ها أكون أنا بقي موجود الأسبوع ده.

يبقي إنت أسبوع وأنا أسبوع لحد ما أشوف صرفه تانية أسهل و بالله عليك يا(فارس) أنا مش عارف أقول لمين ومليش غيرك ..

إنت الوحيد اللي عارف القصة وكمان إنت الوحيد اللي (كرشيف) واخد عليه.

- ماشي يا(صالح) هحاول بس مش هنسبق الأحداث ركز إنت بس في الإمتحانات لسه علي موضوع الجامعة ده حوالي ٤ شهور يكون حلها المولي من عنده وقوم يالا نلبس الباشا عشان المغرب داخل علينا.

ويبدئون بوضع قناع (كرشيف) ويعودون للمنزل.

وفي منزل (هارون) الجديد كان يجلس هناك مع صديقه يسمع اللوم الدائم منه ولا يجيب إلا اصبريا(ربيع).

- أنا مش عارف إنت جايب البرود ده منين يا (هارون) إنت مش شايف إحنا وصلنا لفين؟

- إنت عارف يا(ربيع) إنت عيبك إيه؟ عيبك إنك....

ويقطع رنين الهاتف حديثه فيرفع سماعه التليفون ويجيب:

الو أهلا أهلا...

إيه الغيبة دي يا (أحمد) بيه طمني إيه الاخبار؟..

أنا جاهز ومجهز الرجالة وكله تمام مستني أول فوج عشان نبدأ الحفر...

متشغلش بالك يا (أحمد) بيه وطمن الباشوات...

هو أنا صغرتكم قبل سابق؟..

طيب اديك إنت اللي قلت..

وأنا الأسبوعين دول هكون رتبت كل الأمور والاتوبيسات هتكون

قبل المعاد بيوم قدام المطار...
في رعاية الله.. في رعاية الله.

ويظهر على وجه (ربيع) و(هارون) سعادة لا توصف ولكن يظل (ربيع) لا يفهم شيء وما هي الترتيبات.

وأول مره يسمع كلمه أوتوبيسات منذ وصولها من شهر وركنها خلف الفيلا.

- تمام هَتفَهِمني ولا لسه برضه بعدين؟..

السعادة اللي على وشك دي بتقول إننا هنبدأ بس عاوز افهم؟

- اقعد يا ربيع ها فهمك الدنيا هتمشي ازاي..

بص يا سيدي وافهم والتنفيذ يبقي بالحرف.

مش عاوزين لخبطه في أقل تفصيله بالله عليك...

يوم الأربع اللي بعد الجاي تكون الاتوبيسات نضيفه قبلها بيوم وتكون مكلم السواقين ويتحركوا الأربع بالليل عشان يكونوا قدام مطار مرسي مطروح الخميس الصبح وإنت هتكون معاهم...

فيه فوج سياحي هايجي على الواحة وأنا مرتب كل الترتيبات مع شركه سياحه هيا اللي هاتظبط كل الليلة دي..

ها تجيب الاتوبيسات بالفوج وأول ما يوصلوا الشركة عارفه هيا ها تعمل إيه...

إحنا ملناش دخل غير بالنقل وبس هو اللي علينا...

خدمه يعني لخدمه السياحة وتنشيط المنطقة وأول ما يبدأوا رحلتهم تخلي السواقين يركنوا الاتوبيسات عند الباب اللي ورا الفيلا ..والباقي أنا هبقي معاك فيه.

- أيوه اللي هو ايه بقي الباقي؟

- الباقي يا سيدي أن فيه تعديلات في الاتوبيسات دي..
معمول فيها أماكن ولا الجن الأزرق يعرف يوصلها..
على ما نرص فيها البضاعة يكون اليوم خلص والسياح يكونوا انبسطوا وتعالجوا وقضوا اليوم ونرجعهم للمطار...
ونرجع إحنا بالأتوبيسات علي بيت عجيبة..
وهناك الرجالة تبدأ تفضي البضاعة وتشونها هناك.
ويبدأ الأقطش يستلم بضاعته.. لو عاوز يشيل ولو مش عاوز هتلاقي غيره ألف واحد.. والعجلة تدور.. وكل مره الأتوبيسين الاثنين يشيلوا ٧٠٠ كيلو مره واحده..
وطول ما الاتوبيسات شايله سياح عمر ما حد هيوقفهم ولا يفتشهم ولا حد هيخطر في باله أن الاتوبيسات دي فيها حاجه تاني غير اللي شايفينه.

وهنا يقف (ربيع) على قدميه ويقبل رأس (هارون):
- تسلم الدماغ دي. إنت دماغك دي معموله من إيه ما شاء الله عليك ..
رسمت وخططت ونفذت ولا أكنك ابليس ذات نفسه.
- دماغي! دماغي معموله من لحم ودم..
دماغك إنت اللي محشيه سعف نخل.

فيضحكان كلاهما ويبدأن في الرقص والفرح والتنطيط.
تستحق سهره حلوه ياد يا ربيع مش خسارة فيك.

وبالفعل يقترب اليوم الموعود وتسير الخطة كما خطط لها

(هارون) بالحرف وبين أسبوع وأخر كان مخزن عجيبة به ٣ طن من مخدر الحشيش.

وهنا يظهر الصديقان في خماره الشيخ علي يبحثون على (الأقطش) فيجدونه علي نفس الطاولة عمره ما غير مكانه فيتقدمون نحوه ويلقون السلام.

ويفاجأ (الأقطش) بوجودهم فيقف على قدميه ليسلم عليهم.

- ايووووه والله زمان يا عم (هارون).. إيه يا عم ربيع فينكم روحتوا وقلتوا عدولي.. اقعدوا اقعدوا ليكم وحشه .

وتعلو وجوههما ابتسامة عريضة ويبدأون في الجلوس وبينما يبدأ صوت قبلات الكاسات لبعضها البعض.

يخرج (هارون) قطعه حشيش من جيبه ويعطيها (للأقطش):

- خد اظبطلنا سيجارتين بقي من التعميره دي.

- الله الله جه اليوم اللي حد يمسي عليك يا(اقطش) إنتوا غيرتوا الصنف؟ طب وده ينفع؟

يمسك هارون يد (الأقطش) ويضغط عليها:

- يا عم أمسك بس متكبرش الموضوع ودوق دي وقلي رأيك فيها إيه.

ينظر (الأقطش) لهارون:

- لاااا افهم طالما فيها دواقه.

ويصمت للحظه تفكير ويستأنف كلامه مره أخرى:

أوعي يكون....

فيطأطأ (هارون) رأسه بالإيجاب.

فيحضنه (الأقطش) ويسأله طب ازاي؟ وأمتي؟ والكميه قد إيه؟

يجيبه بكل فخر:
- متسألش كتير. دوق وقول لي عاوز قد إيه .... يا معلم.
فيضحك (الأقطش):
- معلم إيه بقي يا عم (هارون)...
ده إنت اللي طلعت معلم وسيد المعلمين.

وتتعالي الضحكات بينهم ويبدأون في الشرب وتعديل المزاج وتحديد الكميات والسعر.

تتوالى الرحلات السياحية للواحة وتتوالى شحنات (هارون) ويتوالى تساقط الأموال عليه ويستعمل هارون جزء بسيط منها في بناء بعض الغرف البسيطة والحمامات النظيفة للسياح حتى تكون إقامتهم أكثر راحة ويبعد الشبهة بعض الشيء عنه.

ويزداد جبروت (هارون) أكثر وأكثر ويجلب عبر النفق أكثر وأكثر والرجال الأغراب حاملي السلاح أصبحوا يتواجدون بكثره حول (هارون) وحول الفيلا والمزارع، وبدأ أهل الواحة يستاؤون من الوضع وكثرة الأغراب بينهم والمشاكل إلي تحدث منهم وبدأت الشكاوى تزيد من أهل الواحة لما يفعله (هارون) وجلبه للأغراب في كل مكان.

ومازال (الشيخ فالح) مصراً على إعطاء هارون فرصه للرجوع إلي طريق الصواب ولكن هذه الفرصة تأخرت وتأخرت حتى مر أكثر من عامين والوضع يزداد سوءاً في الواحة.

وفي الجهة الآخر كان (صالح) يتفوق في الدراسة تفوقاً ملحوظاً ومع حصوله على مجموع كبير في الثانوية العامة إلا أنه فَضَّل الالتحاق بكلية التربية قسم اللغة العربية لدراسة اللغة العربية وأسرارها بتعمق وذلك لحبه الشديد للشعر والأدب والبلاغة.

ويستمر مع كثرة السفر ومتابعته للدراسة فى مراعاة (كرشيف) هو و(فارس) و(كرشيف) يزداد حجما ونضوجا وقوه بنيان.

وكان في خلال تواجده في الواحة دائما يأخذ (كرشيف) إلي الصحراء ليجري ويلعب ويشعر بالحرية بعد حبسه أسبوع كامل، وكان (كرشيف) يشعر بسعادة أكثر في وجود (صالح) عن (فارس) فهو من يطلق له العنان ويجعله ينطلق وكان (صالح) بالفعل قد صمم لجام لفم كرشيف بدأ استعماله قبل أن يبدأ في العواء وكان يزيل هذا اللجام فقط عند الأكل أو في الصحراء حتي يعوي كما يريد وكان حجم كرشيف أكبر من حجم الذئاب الموجودة في الجبال فبطبيعة الوضع الطعام متوفر لكرشيف طوال الوقت وبكثره مع التدريبات والترويض والمجهود الذي بذله صالح وفارس معه حتى لا تتيبس عضلاته من الحبس في الغرفة طيلة هذا الوقت.

ومر أكثر من ثلاثة سنوات على علاقة (كرشيف) (بصالح) وتعلقهم ببعضهم البعض وحبهم واخلاصهم الشديد.

والعجيب أن الشيخ (فالح) سمع أكثر من مره من بعض أصدقائه تعليقاتهم على حجم الكلب الذي يمتلكه صالح وطريقه تغطيته لكلبه طليه الوقت بالأقنعة المختلفة وكان يعلق ساخرا أصل (صالح) خايف على كلبه من الحسد.

ومع كثرة تردد سائقي الاتوبيسات على الواحة واختلاطهم بأهلها ومعرفتهم بالشيخ(فالح) وصله القرابة التي تربطه(بهارون) فكان منهم من يعجبه الوضع مع إحساسهم بأن شيئاً مريباً يحدث داخل الاتوبيسات كل مره ولكن وفره المال تجعله لا يري ولا يسمع ولا يتكلم إلا أن هناك دائما من يكون سببا لكشف المستور.

كان أحدهم يتواجد دائما في المسجد طوال فتره وجود السائحين بالواحة إما أن يصلي أو يقرأ القليل من القران أو ليأخذ بعض القيلولة حتى ينتهي اليوم ويعود بالسياح مره أخرى لمطروح.

- وفي يوم من صيف يوليو عام ١٩٩١ -

شعر (الشيخ فالح) ببعض الالأم في صدره وبعض الدوار وهو في المسجد قبل صلاه العصر ولم يكن هناك إلا هذا السائق فجلس بجوار (الشيخ فالح) وقام بمساعدته بتدليك يديه وصدره حتى استعاد وعيه واستطاع الاعتدال في جلسته ونظر للسائق:

- شكرا يا ولدي إنت ربنا بعتك ليا نجده لازم تشرفنا في البيت نقوم معاك بالواجب إنت ضيف علينا.

يبتسم السائق ناظرا للشيخ مجيبا إياه:

- ضيف إيه بس يا (شيخ فالح) ده أنا بقالي يجي سنتين رايح جاي على الواحة لما بقيت عارف كل شبر.. والله ما عارف إنت ازاي تبقي عم (هارون) بيه وأنا دايماً بسمع سيرتكم بالخير وسيره ابوه الله يرحمه بالخير وسط الناس... صحيح يطلع من ضهر العالم فاسد.

ينظر إليه (الشيخ فالح) وعيناه مليئة بنظرات الحزن على ما يسمع -ويقول متعجبا (هارون) بيه!

أقولك إيه بس يا ولدي!
بس هارون مش فاسد للدرجة دي...
ده قلبه ابيض والبذرة أصلها طيب.
- واضح إنك متعرفش ابن اخوك كويس يا شيخ.

ويحكي له السائق عن تفاصيل الرحلات ومعامله ربيع لهم من لحظه وصولهم الواحة واستلام الاتوبيسات منهم وحتى وصولهم لمنزل عجيبة ودخول الاتوبيسات للمخزن كل مره وشعوره بأن شيء مريب يحدث في كل رحله.

وبعد سماع (الشيخ فالح) كل هذا الكلام يقول بنبرات حزينة:
- والله ما عارف أقول إيه يا ولدي أنا سامع اكتر من ده بكثير وبحاول اكذب ودني كل مره...
وأقول أن بعض الظن إثم يمكن الناس بتغير منه.
- تغير من مين يا شيخ الناس مرعوبة منه مش بتغير...
وايه قولك على كميه الرجالة والحرس والسلاح ده كله..
ده الواحة كلها مش محتاجة اثنين يحرسوها من كتر طيبه أهلها يبقي الرجالة دي كلها تحرس بيت واحد ؟!!...
والله وما ليك عليا حلفان لولا إني محتاج القرشين اللي بقبضهم منه عشان مصاريف العيال وعلامهم والدنيا غاليه ماكنت كملت يوم واحد.. بس أقول إيه قادر ربنا يفرجها من عنده.

ويستعد (الشيخ فالح) بالوقوف للانصراف لإحساسه بالتعب مره أخرى -على قولتك يا ولدي قادر ربنا يفرجها .

ويخرج متكئاً بصعوبة على عصاه حتى وصل باب منزله فنادي علي شعبان ليساعده في الصعود لباب المنزل.

- مالك يا عم الشيخ؟

- مفيش يا شعبان تعبان شويه الظاهر إني تعبت نفسي شويه اليومين اللي فاتو.

- ألف سلامه عليك يا شيخ ما هو إنت اللي مش مريح نفسك.

وطول النهار ماشي على رجلك وسايب الكرته والعربية مركونين لا بتركب دي ولا بتسوق دي.

- ياد بطل رغي واسندني وإنت ساكت...

اه بقولك يا (شعبان) لو شفت (هارون) ابقي قله أن عمك عاوزك.

فيرتبك (شعبان) من كلام الشيخ متلجلجاً:

- اه ها ها (هاروون).

- مالك يا (شعبان) خايف؟

- لا وأنا ها اخاف ليه يا شيخ أصل بس.

- أصل إيه يا (شعبان) واضح إني مبقتش عايش وسطيكم والكلام اللي بسمعه صحيح...(هارون) ركب الواحة يا (شعبان)؟

- أصل يا عم الشيخ.

- يقاطعه الشيخ قائلاً لا أصل ولا فصل أول ما تشوفه تقوله (الشيخ فالح) عاوزك وبس ولو قالك أي كلمه غير حاضر ابقي عرفني ويبقي كده إنت عملت اللي عليك.

- حاضر يا عم الشيخ هاقوله حاضر.

وبعد أن وصل الشيخ حتى باب المنزل يعود شعبان ليستعيد مكانه مطأطأ الرأس يتمتم مع نفسه.

- يادي اليوم اللي مش هيعدي وأنا مالي بس ومال (هارون).
يا رب ما اشوفه وهو فيه حد بقي قد (هارون) ولا ممكن يقوله كلمه.. ربنا يعديها علي خير.

وفي هذه الاثناء كان (صالح) و(فارس) عند القلعة ومعهم (كرشيف) يلعب ويجري هنا وهناك ويستمتع بالأجواء مع اصدقاءه.
والصديقين يتبادلان الأحاديث عن المستقبل وذكريات الطفولة فسال (فارس):
ناوي تعمل إيه بعد التخرج يا(صالح)؟
- أجابه بابتسامه عريضة نأوي ابني مدرسه في الواحة واسميها مدرسه (الشيخ فالح) عشان اسم أبويا يكون موجود على طول الزمن.. ويكون صرح تعليمي يفيد الناس زي ما طول عمره عايش بينهم بيفيدهم يا(فارس).
- الله يا (صالح) تصدق فكره حلوه نخلد بيها اسم وذكري الشيخ ربنا يبارك فيه وفي عافيته ويبارك فيك يا(صالح).

ويقطع حديثهما (كرشيف) بالقفز عليهما ولعق وجهيهما بلسانه وكأنه يطلبهما للعب ويضحكان لما يفعله (كرشيف)،ويلعبان معه بعض الوقت ثم يعودان للمنزل.

ويدخل (صالح) مباشره لغرفه (كرشيف) وجلس بجانبه على الأرض واخذ يتحدث معه كالعادة.

وكان بالخارج (هارون) يقف في الساحة التي أمام المنزل بعد

أن أخبره (شعبان) بأن عمه يريده فتكبر أن يدخل منزل عمه وأمر (شعبان) ان يخبر عمه بأنه في الخارج.

فخرج الشيخ من منزله ليتحدث مع (هارون):

- مالك يا(هارون) مستكبر تدخل بيت عمك طب يا أخي لو مكنش عشان عمك كنت خليها احترام الكبير.

فيقاطعه بكل تكبر:

- ومقام السنوسي يا شيخ أنا ما فضيلك وعشان أنا مقدر إنك عمي جيتلك أول ما (شعبان) قالي إنك عاوزني...

أأمر يا شيخ.

فينظر له (الشيخ فالح) في عينه مباشره بعد ما اقترب منه ويقول بنبرات غضب وانفعال:

- لا فيك الخير.. ناوي تعمل إيه تاني يا(هارون)؟؟

رايح بجبروتك لحد فين وعاوز توصل لإيه؟؟

حولت الواحة لوكر ليك ولشويه الغجر اللي مشيلهم سلاح حواليك ...أوعي تكون فاكر أن محدش فاهم حاجه لا تبقي غلطان الناس بس اللي غلابه زيادة عن اللزوم وخايفين منك.

يقاطعه هارون بنبرات تهديد وغرور وصوت عال:

- من خاف سلم يا (شيخ فالح)...

وبعدين أنا مبعملش حاجه غلط أنا راجل شغال في السياحة.. واللي يقول عليا كلمه ها أقطع لسانه.

يزداد (الشيخ فالح) عصبيه ويزداد انفعاله على (هارون):

- سياحه مين يابو سياحه إنت...

أوعي تكون فاكر إني نايم على ودني أنا عارف كل حاجه عنك.

من أول الواحة لحد عجيبة ولو عاوز اسلمك للشرطة بنفسي كنت سلمتك من زمان لكن عمال اديلك فرصه وأقول ربنا يهديه لكن واضح أن هدايتك عندهم هم لو ما بطلتش اللي بتعمله إنت والدلدول اللي وراك ده مشيرا إلى (ربيع).

وهنا يسمع (صالح) صوت ابيه العالي فيخرج مسرعا ويترك كرشيف في الغرفة دون أن يغلق الباب أو حتى يضع لجام فمه.

ويجد (هارون) يصرخ في وجه ابيه:

- اسمع يا (شيخ فالح) الكلام خلص وأعلي ما في خيلك اركبه.

وينفجر هنا صالح غضبا ولأول مره يرتفع صوته وتسمعه أهل الواحة:

- هاروون الزم حدودك ويجري تجاه (هارون) منفعلاً لولا أن أوقفته يد (الشيخ):

- صالح أنا لسه ما متش عشان تتكلم وأنا واقف...

حرام علينا نضيع وقتنا مع مجرم وتافهة زيه..

فيه ناس غيرنا دي شغلتها التعامل مع أمثاله.

ينظر اليهما هارون وينظر حوله فيجد المارة ينظرون لما يحدث لا يصدقون ما يروا أو يسمعوا فيبدأ بالانصراف وهو يملأه الغضب والتذمر ويأمر ربيع بأن يتبعه وينصرف.

ويسند صالح ابيه ويبدأ في الدخول للمنزل ويجد أمامه أمه واخته وشعبان فقد كانوا أمام باب المنزل يشاهدون ما حدث ويستمعون لكل شيء .

فقال (صالح) لشعبان:
- وإنت واقف تتفرج؟
- اتفرج إيه بس يا صالح محدش يقدر يتكلم في وجود (الشيخ فالح) هو بس اللي يقدر يتكلم يا ولدي.

ينظر (صالح) لأمه وهيا تقترب لتساعده في مسانده ابيه فالتوتر والغضب أفقداه التوازن ولم يستطيع السير بمفرده.

نظر إليهم الشيخ بعد وصوله غرفته وأجلسوه على فراشه
- سيبوني لوحدي أنا هبقي كويس عاوز ارتاح وابقي صحيني يا(صفية) علي صلاه الفجر وافتحيلي الشباك ده يجيب لي شويه هوا.
فتسرع (صفية) بفتح الشباك ثم تغادر الغرفة مع صالح وعنود.
- أنا خايفه على أبوك يحصل له حاجه يا (صالح).
فيضمها صالح لصدره هي وعنود ويهون عليهما.
- خير ياما متخافيش محصلش حاجه هو بس أبوي أول مره اعصابه تفلت منه فتلاقيه متوتر شوي..
اهدي بس وأنا ها أقعد صاحي لحد الفجر أصحيه وأطمن عليه بنفسي.

وبداخل الفيلا تظهر علامات التوتر والخوف على وجه (ربيع):
- ها نعمل إيه يا (هارون) روحنا في داهيه؟..
قعدت تقولي متخافش متخافش وطلع عمك عارف كل حاجه.
- بطل ندب وولوله زي الحريم وخيلني أفكر.

كان الصوت عالي ومسموع بينهم لدرجه أن (رقيه) سمعتهم من الأعلى في الطابق الثاني حيث مكان غرفتها.

نظرت من أعلي الترابزين من الطابق الثاني علي ربيع وهارون بالأسفل وهما يتحدثان:

- هو مين ده يا (هارون) اللي ها تعملوا معاه إيه؟

يصرخ هارون ناظرا للأعلى برأسه في وجه (رقيه):

- ادخلي إنتي جوه دلوقتي ياما ومقام السنوسي ما فايق لك.

ويأخذ (ربيع) معه ويدخلون غرفه المكتب.

فقد كانت الفيلا الجديدة منسقه ومقسمه بأناقة شديده وبها أكثر من طابق للضيوف وأكثر من غرفه.

ونطق (هارون) بما لا يتوقع:

- اسمع يا (ربيع)...

الشيخ فالح لازم يموت كفاية عليه كده في الواحة أنا مش ها أسمح لمخلوق يهد كل اللي بنيته.

- لا إنت كده اتجننت رسمي يا (هارون).

ويلتفت إليه (هارون) وينظر في عينه بغضب.

فيرتعد (ربيع) خوفا ويقرر الخروج.

- طيب أنا هسيبك ترتاح دلوقتي يا(هارون) واضح إنك تعبان.

وأنا هعدي عليك الصبح تكون هديت.

ويبدأ بالخروج من المكتب ومن وخارج الفيلا بأكملها متجها لمنزله.

ينظر له (هارون) وهو ينصرف ويقول:

- جبان ها تعيش طول عمرك جبان وخواف.

يخرج من مكتبه متجها للطابق الثالث من الفيلا فكانت غرفته في هذا الطابق وبالغرفة بلكونه كبيره تطلع على الجهة الخلفية للفيلا وبالتحديد على الباب السري للبدروم ليتثنى له مراقبه الباب من غرفته.

وخرج هارون إلى بلكونه غرفته ليستنشق بعض الهواء ويدخن سيجاره في الهواء الطلق حتى يهدأ قليلا.

وبينما كان هارون يتأمل في اللا شيء وقعت عيناه على شباك غرفه الشيخ فالح ووجده نائماً على فراشه فظل يتأمله ويراقبه لفتره ما يقرب من الساعة فوسوس له شيطانه بأنها فرصه ذهبيه أن يقتل الشيخ في هذه الليلة فكانت أول مره يري شباك الشيخ مفتوح ليلا وهو نائم بمفرده في الغرفة.

فسحب مسدسه واستعد لتحديد الهدف ودام التركيز ولكن استوقفه صوت عقله فصوت الطلقة سيدوي صداه في الفراغ وخصوصا أنها بيئة صحراوية وظل يفكر كيف يتخلص من الشيخ دون أن يشعر به أحد فظل يراقب الشيخ في فراشه ويراقب الطريق من موضعه حتي تأكد من أن جميع حوله نيام والطريق خالى من المارة تماماً فكانت الساعة تقترب من الثانية صباحاً وكانت ليله قمريه مضيئة، هنا قرر هارون أن ينزل بنفسه حتي غرفه عمه ليتخلص منه دون أي ضوضاء، وبدأ في التلصص والخروج من باب الفيلا الخلفي والسير متخفيا ملثماً بشال كما اللصوص خطوه بخطوه ببطي شديد وبمراقبه الطريق في كل خطوه.

مر هارون من أمام غرفه (كرشيف) وكان (كرشيف) جالساً

ممدداً قدماه ينتظر (صالح).. فخروج (صالح) عند سماع صوت أبيه أنساه أن يغلق الباب فظل الباب مفتوحاً وهنا شعر الذئب بحاسته القوية بأن شخص ما يتلصص بالخارج فبدأ بالدوران حول نفسه أكثر من مره وهذا الفعل طبيعي من الذئاب في حاله القلق وبدأ الذئب في الخروج ليراقب هذا الشخص الذي مرللتو من أمام غرفته وبدء في السير خلفه بحرص شديد و(هارون) لا يدري أنه مراقب.

وصل (هارون) لشباك غرفه الشيخ فالح وقفز بداخلها ولعدم معرفته بتفاصيل الغرفة وطأت قدماه علي طاوله صغيره أسفل الشباك لا يتعدى ارتفاعه ال ٤٠ سم كان يوضع عليها بعض كتب الشيخ فالح التي يقرأ فيها من حين لأخر فقد (هارون) توازنه وسقط على الأرض مصدراً صوتاً مكتوما وسقط معه كتابين من فوق الطاولة أرضاً فسمع (الشيخ فالح) الصوت ولكن لا يدري أن كان حلماً أم حقيقة ففتح عينيه والتفت للخلف مناديا مين؟ مين؟

فلم يجيبه أحد فدخل (صالح) الغرفة عندما سمع صوت ابيه:

- خيريا بوي بتنادي.

- لا يا ولدي الظاهر إني كنت بحلم وسأله عن التوقيت.

- الساعة داخله علي ٣ يا بوي.

- وإنت إيه اللي مصحيك يا ولدي؟

- مفيش يا بوي قاعد بتسلي في كتاب وقلت اصحيك قبل الفجر وادخل أنام.

- فيعتدل الشيخ فالح جالسا على فراشه طيب روح إنت نام يا ولدي وأنا ها أقوم أتوضأ واصلي ركعتين واروح أصلي الفجر.

فقبل (صالح) رأس والده ويده واطمئن عليه وذهب لغرفته تاركا والده على الفراش.

عندما سقط (هارون) ارضا دار بجسده مسرعا حتى استقر تحت السرير مختبأ واستمع لحديث صالح والشيخ فالح وقلبه ينبض خوفا.

وكان (كرشيف) يتابع الوضع من الخارج كانت الرؤية واضحة من خلال النافذة فقد رأي دخول (هارون) متلصصاً وبعدها وجد صاحبه بداخل نفس الغرفة فازداد قلقه وتوتره وأخذ يدور مرارا وتكرارا حول نفسه حتى خرج صالح من الغرفة.

استطاع (الشيخ فالح) السيطرة على جسده مع شعوره التام بالتعب والخروج من الغرفة ليتوضأ.

فخرج (هارون) ليختبئ خلف باب الغرفة منتظرا عوده عمه لينقض عليه بشال ممسكه في يدية فكان ينوي أن يخنق (الشيخ فالح).

ويعود الشيخ فالح للغرفة وهو يستغفر ويدعو، وعندما واستقر في وسط الغرفة انقض عليه (هارون) من الخلف محاولاً السيطرة ولف الشال حول عنقه ولكن قاوم الشيخ فالح محاولاً الالتفاف للخلف ولكن ذراع (هارون) كان أقوى فجذبه للأسفل صادماً رأسه من الخلف بعمود السرير الحديدي.

وفي اقل من لحظة كان الشيخ فالح ممداً على الأرض غارقا في دمائه قفز (هارون) من النافذة هاربا.

ورأي كرشيف كل ما حدث ولكنه لم يقوي علي فعل شيء سوي العواء بالاستغاثة والتكشيرعن أنيابه في وجه هارون لثواني معدودة وتقابلت الأعين، ومد هارون يده لجيبه ساحباً سلاحه ولكن كان الذئب أسرع في الفرارو الاتجاه ناحيه الصحراء وفزع كل من بالمنزل علي صوت الذئب، وخرج صالح مهرولاً لا يدري ماذا يحدث فتذكر أنه ترك كرشيف دون أن يغلق الباب، اتجه بسرعه لغرفه كرشيف ليطمئن عليه ووصل الغرفة ووجدها خاليه، وهنا انطلقت صرخة مدويه من غرفه الشيخ فالح، فكانت صفية تعلن بصراخها عن وفاه زوجها، قفز صالحا من شده الصرخة وهو لا يستطيع تمالك أعصابه من التفكير السريع وتوارد الأفكار السريعة داخل عقله وهو يجري باتجاه المنزل وكانت المسافة بين الغرفة للمنزل لا تتعدي العشرين مترا لو قطعها طفل سيراً لا يتعدى الـ ٥ ثواني ولكنها كانت أكبر مسافه قطعها صالح جرياً في حياته، من بعد الثواني والأمتار حتي يصل لغرفه أبيه ويجده ممدداً غارقاً في دمائه ورأسه في حجر أمه وهو في حاله ذهول تام.

كيف حدث هذا فلقد ترك أبيه منذ بضع دقائق وكان يتحدث معه...

اختفت المعاني وانحجب الصوت وانهالت الدموع سيلاً من الأعين من شده الصدمة سقط صالح علي ركبتيه مصطدما بالأرض أمام صدر والده وينظر لصفية وعنود وشعبان الذي أتي مهرولاً بملابس النوم وهو فاقد الإحساس بالزمان والمكان وكأنه أصيب بشلل فكري من هول الصدمة.

الفصل العاشر
الخاتمـــة

ساد الحزن الشديد على الواحة بأكملها عند سماع خبر وفاة (الشيخ فالح) وكانت كل الشواهد لا تدل علي وجود جريمة فإرهاق (الشيخ فالح) الشديد عصراً في المسجد وشهادة (شعبان) لرؤيته وهو لا يستطيع حتى السير إلي المنزل وما حدث يومها ليلا مع (هارون) فكان الجميع يعتقد أن الشيخ حاول النهوض للصلاة فخانته قدماه من التعب ووقع للخلف مصطدما بعمود السرير أي أن حادث الوفاة قضاء وقدر فلم يري أحداً ما حدث غير (كرشيف) وتقرير الطبيب أن حاله الوفاة بسبب نزيف قوي في الرأس نتيجة الاصطدام.

بعد فرار (هارون) والعودة لمنزله بسرعه بحكم المسافة القصيرة التي تفصل بين المنزلين فزعت أيضاً (رقيه) عند سماعها الصراخ والعويل الصادر من منزل الشيخ وخرجت من غرفتها مناديه(لهارون).

نظر لها من الطابق الذي يعلوها:

.خير ياما إيه اللي مصحيكي؟

- إيه اللي مصحيني إيه يا ولدي؟ إنت مش سامع الصريخ اللي جاي من بيت عمك.

- سامع ياما عوزاني اعملهم إيه بعد اللي حصل؟؟..

وبعدين حاولت أشوف من البلكونة أيه اللي بيحصل معرفتش روحي نامي ياما والصباح رباح.

ذهبت (رقيه) للغرفة وهي متعجبة من رد فعل هارون البارد.

وعاد (هارون) إلي غرفته مغلقاً للباب والشرفة مستلقياً على كرسي بالغرفة متوتراً مشعلاً سيجارته ولم ينم تلك الليلة حتى الصباح.

يسمع طرق باب الفيلا الداخلي بشده بضربات متتالية تسرع رقيه لتفتح الباب فتجده (ربيع):

- فين (هارون) يا خاله؟

- (هارون) لسه نايم يا ولدي.. فيه إيه يا (ربيع)؟

- الشيخ فالح مات يا خاله الواحة كلها قدام البيت ازاي (هارون) مش هناك؟؟

- تصرخ (رقيه) ويصيبها الفزع:

- مات ازاي يا (ربيع).. قول لي يا ولدي بالله عليك.

- بيقولوا وقع الفجر راسه اتخبط في عمود السرير.

ونظر (ربيع) للأعلى من فراغ السلم المؤدي للأدوار العلوية فوجد هارون بالأعلى ينظر له:

- اطلع يا(ربيع) تعالي.

قفز ربيع الثلاثة طوابق في خطوه واحده.

تنظر (رقيه) للأعلى:

سمعت صاحبك بيقول إيه يا (هارون)؟

أيوه ياما سمعت.. إلبسي جلابيتك ياما، روحي للخالة (صفية) على ما أغير واحصلك.

دخل لغرفته وربيع خلفه:

- اقعد يا (ربيع).

- اقعد إيه ده الدنيا مقلوبه بره. طب ازاي وأمتي ؟؟

- إيه يا (ربيع) ها نكفر؟ ده قضاء ربنا عمره خلص وانت لسه قايل بلسانك وقع اتخبط مات إيه الغريب في كده؟

- لا يا (هارون) أنا عارفك..

وبعرفك لما تكون مخبي عليا حاجه وعارف دماغك لما تكون عاوز تعمل حاجه طب ازاي وأمتي؟ وأنا سايبك نصف الليل.

وينظر (لهارون) في عينيه وهو يلقي جميع اسئلته:

- فهمني يا (هارون) أنا هتجنن.

- قبل الفجر يا (ربيع) هو كان بيحرجم علي موته.

- يعني أنا صح طب ازاي.

- خلصنا يا (ربيع) واسكت خالص والله ارميك من البلكونة واياك تفتح سيره الموضوع ده تاني موضوع وراح لحاله...

هلبس جلابيتي ونروح نعمل الواجب.

- حاضر يا (هارون) خلاص بس هدي روحك.

(ربيع) متحدثا مع نفسه ناظرا بطرف عينه (لهارون) واجب إيه ده اللي ها نروح نعمله تقتل القتيل وتاخد عزاه؟..

الواحد يبدأ يحرص منك يا (هارون) بالطريقة دي إنت معندكش عزيز ولا غالي ميهمكش غير نفسك.

- يالا أنا جاهز... (ربيع).. (ربيع).

- هيه إيه يا (هارون).

- هو إيه اللي إيه. بقالي ساعة بقولك يالا سرحان فيه إيه؟
- لا لا مفيش يا صاحبي يالا.. يالا.

يدخل (هارون) بخطوات سريعة منزل عمه متظاهرا بالحزن والأسي ماراً بين الجميع متجها مباشره (لصالح) ومازالت الصدمة مسيطرة عليه، فصوره أبيه ممدداً على الأرض غارقاً في دمائه أمام عينيه التي يملؤها الدموع تسيطر على كل مشاعره لا يستطيع التفكير في شيء أو الشعور بما يدور من حوله لولا وجود (فارس) بجواره لانهار من جراء ما حدث.

ومر اليوم ودفن الشيخ وتواجدت الواحة جميعها في عزاء الشيخ وانصرف الجميع وبقي فقط (فارس) بجوار صاحبه.
- قوم يا(صالح) حاول ترتاح شويه إنت منمتش بقالك يومين.
- فيه حاجه غلط يا (فارس) مش قادر افهم مخي واقف.
- أنا مقدر الل إنت فيه يا(صالح) والله الصدمة كبيره علينا كلنا ربنا يصبرك يا صاحبي.
- يا (فارس) فيه حاجه غلط أنا صحيته واتكلمت معاه وكان كويس ودخل اتوضا...
وبعدين فرضا انه وقع واتخبط في عمود السرير المسافة دي عمرها ما تفتح راس أبوي بالطريقة دي يا (فارس).
- طب استهدي بالله الناس بتموت وهيا قاعده من غير خبط حتى، حاول تفوق يا (صالح) الحمل اللي جايلك كبير ولازم تبقي قده اسيبك ترتاح واشوفك بكره حاول ترتاح يا صاحبي.

وانصرف (فارس) ومر اليوم يليه اليوم ومر أكثر من أسبوع ولم يجرؤ أحد من كبار الواحة على التحدث فيمن سيصبح مكان الشيخ (فالح).

فكان (هارون) رغم انه لم يتعد الثلاثون من عمره إلا أن جميع من في الواحة يخافون منه ومن رجاله المسلحين المحيطين به طوال الوقت والمتواجدين في كل مكان بالواحة.

وبدأ بالفعل (هارون) يتعامل وكأنه كبير الواحة وأول حكم أصدره (هارون) هو استرداد المزرعة من أولاد (سعد البرنجي) بالقوة وطردهم منها.

فمن كان يحميهم من بطشه بعد الله هو الشيخ (فالح)..

ولم يجرؤ أحد أن يسال (هارون) أو يلومه على ما يفعله فقد كان السلاح دائما هو الأقوى.

وبدأ (فارس) يشرح لصالح ويعلمة كل الحسابات مع التجار وكيفية سير العمل في المزارع خطوه بخطوه.

- مش عارف اشكرك ازاي يا (فارس) على كل اللي بتعمله معايا.

- عيب عليك يا(صالح) الشيخ كان أبوي زيك بالضبط..

غيركمان ان إنت صاحبي الوحيد اللي طلعت بيه من الدنيا.

- أنا مش صعبان عليا قد أمي و(عنود) الصدمة كانت شديده عليهم قوي يا(فارس).

- والله إن جيت للحق الصدمة كانت شديدة علينا كلنا إلا صحيح مفيش أي اخبار عن (كرشيف)؟ مظهرش خالص من يومها؟

- مظهرش يا(فارس) واللي مجنني أن الصوت اللي سمعته يومها أكنه واقف قدام البيت بينادي عليا الصوت ساعتها كان واضح وصريح...

كان بيعوي في الخلاء.

بس هقول إيه مكتوبلي اخسر اثنين من اللي بحبهم في يوم واحد.

- ربنا يصبرك يا صاحبي وإن شاء الله هتلاقيه ركز معايا بقي في الحسابات دي عشان نخلص لسه المواضيع كتير..

هو لسه فيه تاني.

- أووووووه ده فيه ياما أبوك كان شايل حمل يا(صالح) وإنت لازم تشيله وتشيله صح بدل ما تتاكل بين التجار.

ويكمل (فارس) شرح كل ما يعرفه عن تجاره الشيخ لصالح بأدق التفاصيل.

أما بالنسبة(لكرشيف) الغائب فقد تغيرت حياته بالكامل في يوم وفاة الشيخ فالح فبعدما رأي الجريمة كامله واصطدم (بهارون) الذي حاول قتله قبل فراره للصحراء، فقد كان عوائه ذلك اليوم استغاثه.

وعواء الذئب عاده يصل إلي مسافات تصل من سبعه إلي عشرة كيلومترات فعندما قفز هارباً في الصحراء سمع (كرشيف) عواء آخر للتواصل يأتي من جهة جبل الموتى فكان يبعد عن الواحة بمسافة لا تتعدي الـ ٢ كيلومتر فاتجه (كرشيف) في اتجاه الصوت وقبل منتصف الطريق يجد (كرشيف) أمامه مباشره ذئبين ينظران إليه

مباشره فبدأ (كرشيف) بإصدار بعض الأصوات الخافتة للتواصل مع خوفه الشديد ومحاولته الانسحاب فقد كانت المرة الأولي له مقابله ذئب من نفس الفصيلة، وببطيء شديد يتقدم الذئبين منه ويمسحان رأسيهما في جسده والجبهة في الجبهة والتواصل الأكثر كان بحاسة الشم لجسده ونظرات تدل علي السعادة والحب فكانا الذئبين هما ابوه وأمه.

وتلاقت العائلة مجتمعين سوياً مره أخرى بعد فراق دام لأكثر من ٣ سنوات وعاد (كرشيف) معهم ليتابع حياته الطبيعية في جبل الموتى وحجمه الضخم على غير المعتاد أكسبه احترام باقي افراد القطيع.

فطبيعة الاكل الزائد وتدريباته في الصحراء اكتسب جسد قوي وقوه بنيان مختلفة.

وبعد انخراطه بين القطيع شعر (كرشيف) بالحنين لصديقه فقرر أن يتابعه ويطمئن عليه من بعيد من حين لأخر كما كان يفعل والداه فكان يعود للواحة ويختبئ في الصحراء أمام منزل (صالح) محاولا رؤيته والاطمئنان عليه كل فتره.

كانت الواحة تتغير يوماً بعد يوم بدأت تزيد أعداد السائحين وتزيد تجارة (هارون) ويزيد طغيانه وبطشه بأهل الواحة فلا يستطيع أحد ردعه أو الوقوف أمامه، وكان (ربيع) أيضا يزداد خوفه منه يوما بعد يوم، وهذا ما جعله يفكر في اتخاذ قرارا مصيريا ليغير حياته.

فذهب إلي (هارون) ذات صباح ليتحدث معه بعد تفكير دام شهور:

- صباح الخير يا (هارون).

- أهلا يا (ربيع) اقعد افطر.

- سبقتك يا صاحبي مش عوايدك يعني تقعد في الجنينة.

- تغيير يا (ربيع) الواحد زهق من القعدة جوه البيت ما تقعد يا (ربيع) إنت عليك ذنب ده أنا حتى كنت مستنيك آخد رأيك في موضوع.

يجلس (ربيع) ويشعل سيجاره وأنا كنت عاوزك برضه في موضوع تتقدم (رقيه) بصينيه الشاي فيقابلها ربيع لتناول الصينية من يدها:

عنك يا خاله

- تسلم يا (ربيع) يا ولدي عقل صاحبك يا(ربيع) لحسن خلاص اتجنن رسمي.

وتعود(رقيه) لداخل الفيلا مره أخرى.

- والله صعبانه عليا خالتي (رقيه) يا (هارون) ما تجيب لها حد يساعدها يا أخي الحاجة كبرت برضه وعاوزه اللي يخدمها بلاش نشفان الدماغ.

- ما إنت عارف مبحبش حد غريب يدخل بيتي ويطلع أسراري بره وبعدين ما هو ده الموضوع اللي كنت عاوز اخد رأيك فيه أصلي نويت اتجوز.

- أخيرا يا (هارون) ما إحنا بنتحايل عليك أنا وأمك بقالنا سنين.. ومين بقي اللي عليها العين؟

- (عنود) يا (ربيع).

- (عنود) مين يا (هارون)؟ بنت عمك بنت الشيخ فالح؟

- أيوه هيا أنا قلت يعني عشان اخد بالي منهم بالمرة بقوا غلابه ملهمش حد دلوقتي غيري.

- (هارون) سيبك من الكلام ده أنا حافظك كويس بتخطط لإيه تاني وبعدين ما (صالح) موجود هو ياخد باله منهم.

- (صالح) مين يا(ربيع) ده لسه بيدرس وعيل ميفهمش حاجه في الدنيا غير الكلب اللي كان سارح بيه ليل نهار...

إلا صحيح يا (ربيع) الكلب ده راح فين؟ اديله ٦ شهور من يوم ما مات الشيخ محدش شافه يعني.

- والله معرفش يا (هارون) تصدق صح الكلب اختفي من يوم مات ابوه يمكن مشاه إكراما لأبوه كلنا عارفين أن الشيخ عمره ما حب الكلاب.

- يعني مرضيش يرضي ابوه وهو عايش ها يرضيه وهو ميت؟! ويمشي الكلب المهم كنت عاوزني فيه إيه؟

يعني موضوع كده يا (هارون).. بس بالله عليك من غير عصبيه.

هههه قول يا (ربيع):

ومقام السنوسي ما هاتعصب ياد.. بقولك صاحي رايق.

- عاوز أبطل يا(هارون).

- تبطل؟!..تبطل إيه؟

- أبطل شغل.. يعني هيكون ها أبطل إيه؟

- مش فاهمك يا(ربيع).. وتبطل أصلا ليه؟

ما الدنيا تمام وعال العال وماشين زي الفل...
شكلك شبعت يا(ربيع).
- مش حكاية شبع ولا جوع يا(هارون).. أنا كمان عاوز اتجوز واجيب عيال واسويلي مشروع أعيش باقي حياتي مرتاح..
وبعدين الحمد لله الواحد بقي معاه خميرة محترمه.
وإنت كمان يا(هارون) المفروض كفاية فاكر لما بدأنا الشغل.. قلتلي ساعتها سنه وادي إحنا داخلين على ٣ سنين..
هو يعني لازم نستني لما يحصل حاجه.
وإنت كمان ما شاء الله بقي عندك كتير وظبطت حالك... وبنيتلك فيلا محترمه وعندك بدل البيت ٨ عمارات في الإسكندرية وأرضك وأرض أبوك.
- هههههههه لا يا(ربيع) إنت مش جاي تبطل إنت جاي تنق عليا، قل اعوذ برب الفلق...
شوف يا صاحبي عندك حق خلينا نخلص السنة دي كمان ونبطل...
اهو الواحد يعيش مع عنود مرتاااااح وهادي البال.
واجيبلي منها دسته عيال يملو عليا البيت.
- ما بلاش (عنود) يا(هارون) بلاش مشاكل يا صاحبي الواحة مليانه.
- لا أنا عاوز عنود.
اصلك مش فاهم يا (ربيع)... وبعدين مشاكل إيه؟
وبكل استنكار وتعالي وغرور:
إيه هما يطولوا ده أنا (هارون) شمس الدين...
ومين ده اللي يقدر يعمل معايا مشاكل (صالح)!

- الموضوع مش كده يا(هارون) ما تضحكش على نفسك...
إنت عارف إنك مرفوض من قبل ما تروح..
- مرفوض؟!..
واترفض ليه؟..
هو أنا جربه؟ ومين قالك إنت إني مرفوض؟..
حتى لو رفضوا برضه هاتجوزها.
- يعني هتتجوزها غصب يا(هارون)؟
ومن أمتي حد في الواحة....
- (هارون) مقاطعاً بعصبيه:
أيوه هتجوزها غصب....
وقوم قوم من وشي بقولك صاحي رايق صاحي رايق...
يلعن ابو صباحك عصبت الواحد.
- اهدي يا(هارون) أنا قصدي انصحك.
- بقولك قوم يا(ربيع) متعصبنيش...
مبقاش إلا إنت إلا تنصحني يابو مخ فاضي ...
قوم أمشي وحضر نفسك بالليل ها تروح (لفركاش) عندك نقله

ينصرف (ربيع) ويبقي (هارون) جالسا في حديقة الفيلا يفكر في (عنود) هائم سارح في ظلمات الحب، فكان رغم جبروته الشديد إلا أنه كان يشعر بالضعف أمام حبه (لعنود).

يبدأ (هارون) في الخروج من منزله والتوجه لمنزل عمه وبخطوات ثابته يملؤها الفخر يسير في الطريق حتى اقترب من الساحة الخارجية
- إزيك يا(شعبان).

- بانكسار ومطأطأ الرأس - الحمد لله يا عم (هارون).
- (صالح) جوه؟
- لا (صالح) طلع مع (فارس) من الصبح ولسه مجاش.

ويتجه مباشره لباب المنزل ويطرق الباب منتظرا.
تفتح (عنود) الباب وينظر لها (هارون) هائماً سعيداً برؤيتها:
- صباح الخير يا(عنود).
- صباح الخير يا (هارون) - متعجبة من زيارته المفاجئة - سائله: خير يا (هارون)؟
- الله مالك يا(عنود) خير طبعاً وأنا هاجي غير في خير.
- (صفية) من الداخل جالسه على الكنبة مقاطعه.
خير يا (هارون).. ادخلي جوه إنتي يا(عنود).
- حاضر ياما.
يدخل (هارون) ويجلس على الكنبة اللتي أمامها.
- خير يا خاله (صفية) هو ما ينفعش آجي اطمن عليكم ولا إيه يا خاله؟ هو إحنا مش أهل؟
- لا إحنا أهل يا ولدي فيك الخير...
أصل غريبه يعني زيارتك.. متأخذنيش يا ولدي محدش شافك من موت عمك الشيخ من يجي ٦ شهور... لسه فاكر إننا أهل؟
- مشاغل والله يا خاله (صفية) متزعليش حقك عليا.

تتعجب (صفية) من طريقه وأسلوب كلام (هارون) على غير عادته.
- لا حقك ولا حقي يا ولدي ده حال الدنيا خير يا(هارون)؟

- خير يا خاله خير.
أنا قلت أكلمك في موضوع كده الأول وبعدين هكلم (صالح).
- موضوع إيه يا(هارون)؟
ومالك ومال (صالح)؟
- اهدي يا خاله (صفية) وأنا جايلك في الكلام...
صلي علي النبي واستهدي بالله.
- اللهم طولك يا روح ادخل في الموضوع يا ولدي.
- شوفي يا خاله (صفية).. أنا عارف أن لا وقته ولا ساعته.. بس والله وأنا قبل ما يموت عمي وكنت عاوز افاتحه في الموضوع.. بس الظروف ما سمحتش.
ومن ساعة ما مات وكنت عاوز افاتح (صالح) بس قلت استني شوي واهو عدي ٦ شهور علي موت عمي..
وأنا مش مستعجل والله.
إحنا ممكن نربط كلام ونستني أن شاالله سنه تاني.
- سنه إيه؟ وشهر إيه؟ وموضوع إيه؟
ادخل في الموضوع يا (هارون).
- شوفي يا خاله صفية أنا .....
أنا عاوز اتجوز عنود.
- عنود مين بنتي؟
- هو فيه عنود غيرها في الواحة يا خاله؟
أنا ابن عمها وأولي بيها.. وبالمرة أخد بالي منكم يا خاله...
(صالح) برضه لسه صغير وعنده دراسة...
والدم عمره ما يبقي ميه وعمي افضاله.....
- صفية مقاطعه: حيلك حيلك يا(هارون).

إنت فاكر أن عيلة الشيخ فالح شروة بلح في سوق بتخلص فيها؟
وبالمرة ومش بالمرة..فيك الخير يا ولدي وإحنا معندناش بنات للجواز(عنود) لسه صغيره...
و(صالح) راجل وسيد الرجالة..راجل ملو هدومه متعلم وفاهم..
ومش محتاجين حد ياخد باله مننا يا(هارون) خد بالك إنت من نفسك.
- متفهمنيش غلط يا خاله.. مش قصدي أنا بس مبعرفش أعبر أنا قصدي .....
- لا قصدك ولا مقصدكش يا(هارون)الكلام خلصان....
معنديش بنات للجواز.. روح ارمي بلاك على حد تاني.
متحدثاً بحده وعصبيه ونبره اعلي مما كانت:
- (هارون شمس الدين) بقي بلوه يا (صفية)؟!
ومين ده اللي يقدر يرفض (هارون)؟..
إنتي مش عارفه مين (هارون شمس الدين)؟

تبدأ (صفية) بالتعصب والرد بغضب عارم:
- لا عارفه يابن (رقيه).. عارفه انه ظالم وجبار ومبيخافش من حد ولا حتى اللي خلقه.. سيبنا في حالنا يا(هارون) وخليك في حالك.
إنت إيه مش مكفيك اللي عملته؟
تقتل عمك!..
وعاوز تتجوز بنته!..
إنت إيه؟
يبدو على (هارون) الارتباك من صدمه ما سمع ويبدأ في التلجلج بالكلام

- إيه اللي بتخرفي بيه ده؟ إنتي أكيد اتجنيتي.

وهنا يظهر (صالح) و(فارس) في المدخل فقد كان الباب مفتوح وسمعا (صفية) وهي تتهم (هارون) بالقتل فيتحول نظر (صفية) و(هارون) للباب:

- صالح؟..

- أيوه (صالح) ياما..خيريا(هارون).

يقف (هارون) متلعثما بالكلام بعض الشي:

- خير يا(صالح).. أنا كان ودي اخطب (عنود) وأمك رافضه يا(صالح).. هو مش أنا ابن عمها وأولي بيها؟

- مفيش حاجه اسمها أولي بيها يا (هارون) هي مش بيعه...

ومن الآخريا(هارون) (عنود) مخطوبة ومقري فاتحتها مع الشيخ قبل ما يموت فيه حاجه تاني؟

- مخطوبة!.. مخطوبة لمين؟

- مخطوبة للأستاذ (فارس) ويشير بيده علي صاحبه الواقف بجواره وتقع هول الصدمة على (فارس) ولا يستطيع الرد.

- (فارس) مين ده اللي مخطوبة له؟..و(فارس) مين ده اللي يتجوز (عنود) وأنا عايش؟..

الجوازه دي لا يمكن تتم.

- اعلي ما في خيلك اركبه..وبالا اتفضل من غير مطرود

يخرج (هارون) بعصبيه من الباب صادماً (فارس) بكتفه بقوه ناظراَ في عينيه نظره توعد.

ينظر (صالح) لأمه و(لفارس) فيجد ملامح الصدمة مما قال

تعلو وجهيهما ولا يتحدثان.
- إيه اللي أنا سمعته ده يا(صالح)؟
- سيبك من اللي إنتي سمعتيه ياما هافهمك بعدين.
ويتقدم نحوها - إيه اللي إنتي قلتيه ده يا ما؟..
هارون هو اللي قتل أبوي؟..
يعني أبوي ما متش قضاء وقدر؟..
وإنتي كنتي عارفه وسايباني هاموت من التفكير؟؟ طب ليه؟..
وعرفتي ازاي؟
- اقعد يا ولدي وهون على نفسك.
- اهون على نفسي ازاي ياما؟..
وأبوي مات مقتول!
واللي قتله ماشي يبرطع في الواحة وجاي عاوز يتجوز بنته!
فهميني يا ما؟
- اهدي يا ولدي واقعد.
قوله حاجه يا(فارس)؟
- أقوله إيه بس يا أما (صفية) بس.. ما هو اللي سمعناه ده ملوش تفسير.. ازاي ياما (صفية)؟..
وجيبتي الكلام ده منين؟.
- اقعدوا يا ولدي وأنا هقولكم على كل حاجه.
يوم الحادثة يا(صالح) قمت مفزوعة من جنب (عنود) علي صوت ديب بيعوي بصوت عالي..
جريت على أبوك لقيته غرقان في دمه بس كان لسه فيه الروح..
نزلت ارفع راسه وحاولت اساعده يقوم..
بصلي وقال لى: (هارون).

(هارون) (يا صفية) وبص على الشباك والسر طلع.

مفهمتش ساعتها وخوفي عليك من (هارون) خلاني أسكت..

(هارون) بقي جبار وظالم إذا كان هانت عليه روح عمه يبقي ممكن تهون عليه إنت كمان يا ولدي.. ومكنتش عاوزه حد يقول أن (الشيخ فالح) اللي عمره ما كان عنده عداوة مع حد مات مقتول.

بعد الحادثة بأسبوع دخلت اشم ريحه أبوك في الأوضة،عيني راحت على طرابيزة الكتب اللي تحت الشباك ولقيت كام كتاب وقعين على الأرض وعمر أبوك ما كان بيسيب كتبه على الأرض، ومكان الطرابيزة بعيد عن مكان أبوك، يعني حتى لو وقع زي ما قلنا عمره ما كان ها يقع على الطرابيزة والكتب تقع بالطريقة دي.

افتكرت ساعتها كلام أبوك وبصته على الشباك فهمت ساعتها كل حاجه ومرتضتش أتكلم وقلت سيبه لربنا هو اللي قادر يخلص الناس من شره.

- كل ده شايلاه جواكي ياما؟.. وكل الفترة دي وشايفاني بسأل نفسي وهتجنن لأني شفت أبوي كويس قبل ما أدخل أنام ومش مقتنع انه وقع.. وسايباني؟

- كنت خايفه عليك يا(صالح).

(هارون) مش سهل يا ولدي ده نابه ازرق.

- نابه ازرق نابه اخضر أنا مش هاسيبه وحق أبوي لازم يرجع.

- بالله عليك يا(صالح).. إنت اللي فاضلي يا ولدي.

- متخافيش عليا ياما ابنك مبقاش صغير.. وأنا هعرف ازاي إنتقم لأبوي من غير ما أقف قدام هارون.. علي قوله أبوي في ناس شغلتها التعامل مع أمثاله متخافيش ياما.

- ربنا يحميك يا ولدي ويبعد عنك شره وشر اللي زيه.

وايه اللي إنت قلته ده يا ولدي؟ أبوك عمره ما جاب لي سيره.
- بعدين ياما.. ها فهمك بعدين..
سيبيني بس أنا و(فارس).. شويه وحضري لنا حاجه ناكلها.
- لا أنا همشي يا(صالح).
- استني يا (فارس) هنتغدى وبعدين أمشي عاوز أتكلم معاك شويه.

تتجه (صفية) للمطبخ مناديه (عنود) التي سمعت كل ما دار وسمعت كلام (صالح) فخرجت (عنود) من غرفتها متجهة للمطبخ خاطفه نظره بطرف عينها (لفارس) بكل خجل وكسوف مصاحبه ابتسامه.

لم يستطيع (فارس) أيضا التحكم في نظره، فالتفت إلي (عنود) ونظر لعينيها مبتسماً ثم نظر للأرض خجلا.

رأي (صالح) تلك النظرات.

- هه يعني كان عندي حق لما خطبتها لك.. ما هو المثل الجديد بيقول اخطب لصاحبك ولا تخطب لنفسك.

- إيه اللي إنت بتقوله ده يا(صالح)؟ (عنود) زي اختي.. عمري...

- (صالح) مقاطعا اديك قلت زي اختك. وبعيدين يا صاحبي العيون بتتكلم وأنا شايفك من سنين.. وعارف إنك بتحب عنود وتخاف عليها اكتر مني كمان.

- ربنا يعلم يا(صالح) بخاف عليكم كلكم وافديكم بروحي.. وعمري ما كلمتها ولا قلت لها أي شيء.

- عارف يا(فارس)..وعارف إنك بتصون الأمانة والعشرة... عاوزني اسمع الكلام ده منك وإنك تفدينا كلنا بروحك..

ومخطبلكش (عنود)؟
- بس وفكرك (عنود) هتوافق؟
- هه.. هيا لسه ها توافق ما وافقت خلاص.
مبروك يا صاحبي.. إحنا بس ها نستني شويه.
إنت عارف الظروف وأول ما تخلص الجامعة فرحك عندي.
ومش هيكون ٣ ليالي ده هيبقي ٣ شهور..
هو أنا عندي اعز من أخويا وسندي وصاحبي.

بالمطبخ كان يدور حوار مختلف فقد رأت (صفية) أيضا نظرات (عنود) (لفارس).
- شايفاكي ميالة لكلام أخوكي يا (عنود)؟
تجيب بخجل البنات المعهود ناظرة للأرض:
- كلام إيه ياما أنا مبفكرش في الجواز؟
- باين....
باين عليكي.
وأنا اللي كنت فاكره إنك هبله وعلى نياتك.
- يا زين ما اخترت لأختك يا(صالح).. هو فيه زي (فارس) في أدبه ولا أخلاقه متربي علي يد الشيخ فالح.. هو اكتر واحد ها يصونك يا بنتي.. لو ابوكي عايش كان هو اللي خطبلك (فارس) بنفسه...
الشيخ كان بيحبه زي (صالح) تمام...
مبروك عليكي يا بنتي ربنا يتمم لك بخير.

في ظل مباركات (صفية) و(صالح) (لعنود) و(فارس) على الخطبة نسيا (هارون) الذي انصرف غاضبا مشتعلا بنار الحديث

وصدمته بمعرفه (صفية) الحقيقة لقتله الشيخ الفالح.
وعاد لمنزله يغلي من هول الصدمة.
رأته (رقيه) وهو عائد منفعلاً غاضباً يسير باتجاه المكتب:
- قلتلك بلاش مسمعتش كلامي..
رفضوك؟
رفضتك صفية وصالح؟
نظرا ألبها وهو يكمل السير للمكتب:
- والنبي ياما ما ناقصك إنتي كمان.

ويدخل مكتبه مغلقا الباب بقوه، يفتح ضرفه صغيره أسفل مكتبه متناولاً زجاجه ويسكي ويصب كأسا ويتناوله مره واحده.
ويصب كأسا آخر مشعلا سيجاره وعينه حائره تنظر في كل مكان يفكر فيما سمع وماذا سيفعل.
يقطع تفكيره جرس التليفون الموجود فوق المكتب.
يجيب مسرعا:
الو.. أهلا (أحمد) بيه أنا بخير الحمد لله.
ازي الباشوات وسعادة السفير؟
ليه بس بعد الشر؟ ومين اللي مزعلهم؟
هو أنا أقدريا (أحمد) بيه..
والله وما لك عليا حلفان الناس شغاله حفر ليل ونهار هانت يا (أحمد) بيه أنا حاسس .....

ويتوقف عن الكلام ويظهر صوت أحمد بيه مقاطعا هارون خارجا من السماعة بعصبيه:

- اسمع يا(هارون) الباشا زعلان.. وإنت بقالك فتره كل ما اكلمك لسه لسه لسه،وده ما كنش اتفاقنا.

- ما أنا بحاول اهو يا (أحمد) بيه.. ده أنا حفرت نصف الصحراء شرق وغرب

- سيبك بقي يا(هارون) من قصه الحفر دي لان الباشا عارف كل حاجه وعارف إنت بتعمل إيه كويس..

اسمع يا(هارون)...

- الباشا بعتلك رسالة وطلب مني أوصلهالك..

نصف الفلوس اللي كسبتها في ال ٣ سنين اللي فاتوا...

يأما إنت عارف لو زعل زعله وحش.

- فلوس إيه اللي عاوز نصفها؟

ومقام السنوسي ده أنا صارف فلوس الدنيا.

- (هارون) سيبك من قصه صارف ومش صارف دي...

بقولك الباشا عارف كل حاجه من أول (دومان) لحد (الأقطش)

وإنت حريا نصف الفلوس يا إنت عارف الباقي.

يثور هارون علي أحمد بيه:

- لا اسمع إنت وقول للباشا بتاعك ينسي قصه الفلوس دي..

مش (هارون) شمس الدين اللي يتلوى دراعه.

ويغلق الهاتف بعصبيه ويتناول كأسه مره أخرى علي دفعه واحده متجها لخارج المكتب وخارج المنزل راكبا سيارته متجها لمنزل ربيع.

وكان الوقت يوشك على الثالثة عصرا.

يقف بسيارته أمام منزل (ربيع) طارقا الباب بعصبيه.

يفتح (ربيع) الباب متفاجئ بوجود (هارون):
- خير يا(هارون).
- خير من على الباب؟
- لا ادخل معلش يا صاحبي اصلك من زمان معملتهاش..
ادخل ادخل..
مالك يا(هارون)؟ شكلك عفاريت الدنيا بتتنطط في وشك ليه؟
- إنت بتقول فيها؟ والله ده العفاريت والبني ادمين.
- يا ساتر ليه بس مأنا سايبك رايق ومزاجك حلو وعاوز تتجوز.
- اتجوز؟.. أنا صالح يقول لي عنود مخطوبة...
ولمين لفارس! فارس يا (ربيع)!..
طب ومقام سيدي السنوسي ما هيلحق يتهني بيها يوم.
- طيب اهدي.. اهدي يا(هارون) اعملك شاي؟
- لا صب لي كأس.
- كأس؟
حاضر.
ويقوم بإحضار زجاجه ويسكي وكأسين.
ويصب لهما مناولاً هارون كأسه ثم يعطيه سيجاره ملفوفه.
روق بس روق يا(هارون).

يشرب (هارون) الكأس أيضا دفعه واحده مشعلاً السيجارة.
- ما تيجي نخرج شويه يا(ربيع).
- نروح فين بس؟
أنا شويه وهاطلع علي(فركاش).. إنت ناسي؟
- سيبك بلا(فركاش) بلا زفت..

ها نوقف كل حاجه أنا محتاج أرتب أوراقي تاني
- الله مكنش كلامك ده الصبح إيه اللي حصل؟
- الباشا في مصر..
طلع عارف كل حاجه من زمان قاعد يتفرج عليا وبس...
أنا اخطط وأرتب واصرف واعرض حياتي للخطر وهو يجي على الجاهز وعاوز نصف فلوسي..
طب ما كان من الأول يساعدني ويوفر عليا المصاريف..
وياخد اللي عاوزه.
- ما إنت اللي عملت كده يا (هارون)..
وبعدين الباشا ايده طايلة؟
ودول بيعرفوا الديب مخبي ابنه فين؟
- صح يا (ربيع) بيعرفوا الديب مخبي ابنه فين.
قوم يا(ربيع) نطلع تعالي نروح نصطاد زي زمان.
- نصطاد إيه بس في عز النهار يا(هارون)..
ولوحدينا وبعدين إحنا خلاص سيبنا الموضوع ده من زمن.
- قوم يا(ربيع) اهو نغير جو.
وبعدين إيه لوحدينا دي؟؟
وهو إحنا صغيرين؟ قوم قوم. تعالي.
أنا معايا اثنين آلي في العربية تعالي نطلع نتمشى شويه عاوز اشم هوا.. ومش لازم نصطاد.
- طب ثواني يا(هارون) أغير هدومي أما أشوف اخرتها معاك إيه.

ويبدأ (هارون) بقياده السيارة و(ربيع) بجواره متجهين ناحية جبل الموتى.

- رايح فين يا(هارون)؟
- رايح علي جبل الموتى أهو الناحية دي واسعه والدنيا مكشوفه.
- تعالي نروح القلعة ولا عين من العيون نغير جو هناك.
إيه بس اللي ها يودينا الجبل؟
إنت بتفول علينا؟
- ياد بطل جبن.
عين إيه اللي هروح اقعد فيها دي؟ هو إحنا سياح؟

يبدأ (ربيع) يساوره الشعور بالقلق على (هارون) وما يفعله.
ولكنه يصمت ولا يتحدث.
يصلوا لجبل الموتى ويناوله (هارون) بندقية آلي ويأخذ الثانية معلقها بكتفه ويبدأن بالسير والحديث.
- ناوي تعمل إيه مع الباشا يا(هارون) الناس دي ايديها. طايله.. وأنا خايف عليك.
- لا متخافش يا(ربيع) أنا ها أوقف كل حاجه كده شويه على ما أشوف ليهم روقه..
أخلص بس من موضوع فارس ده الأول...
وبعدين نشوف الباشا.
- ما تسيبك يا(هارون) من موضوع (عنود)..
حتى من غير (فارس) مش ها يجوزوك بنتهم.
- أموت واعرف عرفت منين (صفية) أن أنا اللي قتلت عمي.
تستوقف الكلمة ربيع ويقف مكانه.
إنت بتقول إيه؟..
هيا مين اللي عرفت؟

ينظر له هارون ويجيبه:
- (صفية)...(صفية) طلعت عارفه...
مش قادر افهم كانت ساكته ليه؟ وما بلغتش ليه و(صالح) ناوي يعمل إيه.
- صالح هو صالح كمان عرف؟
- اه عرف.. سمع (صفية) وهيا بتقولي إنت اللي قتلت (الشيخ فالح) وكان داخل بالصدفة هو و(فارس).
- يادي اليوم الأزرق و(فارس) هو كمان عرف؟
فيه إيه يا(هارون) إنتي بتنقطني؟
فاضل مين تاني في الواحة معرفش؟

وهنا يري (هارون) (كرشيف) على مسافة خلف (ربيع) فيقول:
- الديب.
- ديب؟ ديب إيه؟
- فيه ديب وراك.
- وراي؟

ويبدأ (ربيع) بالخوف والنظر (لهارون):
- اثبت يا(ربيع) زي ما إنت.

ويبدأ بتناول بندقيته ويوجهها (لكرشيف).
- الديب ده اللي شفته يوم ما قتلت عمي.
- شفته؟ شفته فين؟
- شفته في الساحة اللي قدام البيت مقدرش أنسي شكله وحجمه

ومنظر عيونه وهو بيبص لي... هو سبب الفضيحة لو مكنش الديب ده عوا مكنش حد صحي ولا حسو بحاجه غير تاني يوم.

ويبدأ (هارون) بإطلاق رصاصته على (كرشيف)، ولكن قبل إطلاق الرصاصة بثواني ظهر ذئب آخر يقذف بالهواء في اتجاه (هارون) فأصابته الرصاصة ساقطا على الأرض.

ثم ظهرت من جهة أخرى (السرحانة) وهذا إسم أنثي الذئب المتعارف عليه، فلها ثلاثة أسماء ويصيبها أيضا (هارون) برصاصه فتسقط أرضا ثم يوجه (هارون) فوهة البندقية تجاه الذئبين الساقطين أرضا ويطلق. لكل منهما رصاصه أخرى ليقضي عليهما.

وفي هذه اللحظات كان (كرشيف) منطلقا هارباً متجهاً لفتحات جبل الموتى للاختباء، (وربيع) في هذه اللحظات اقترب من بلل ملابسه، فخوفه مما لا يراه يحدث خلفه وخروج الطلقات متتالية أصابه بالذعر والخوف الشديد.

- ها.. متنا؟
- متنا إيه ياد إنت معاك هارون بص وراك.

ينظر ربيع خلفه فيجد ذئبين ممددين قتيلين.

يبدأ العواء يصدر من جبل الموتى من أكثر من ذئب.

- يالا بينا يا(هارون) بالله عليك كفاية كده.
- طب روح روح هات العربية وأنا هاستناك هنا.
- تستناني فين؟ وعربيه إيه اللي عوزها؟

- روح يا(ربيع) هاخدهم معايا أحنطهم واحطهم قصاد بعض في بهو الفيلا في المدخل.

- تحنط إيه يا (هارون)؟

الله ما تروح يا(ربيع).. ولا اروح أنا واسيبك هنا يأكلوك.

لالا.. خلاص هروح.

وكانت السيارة لا تبعد عشرة أمتار من مكان (هارون)، ذهب (ربيع) مسرعاً وجلب السيارة وفتح الصندوق وساعد (هارون) في حمل ووضع الذئاب في صندوق السيارة وعادوا للواحة.

وكرشيف متابعاً كل ما حدث يملؤوه الغضب العارم، فلم تكن تلك أول مره يري فيها (هارون)...أول مره رآه كان يقتل الرجل الذي تربي في بيته..والثانية قتل والديه.

فكانت كمية الغضب التي بداخله تجاه (هارون) كافيه للانفجار بجبل وتفتيته.

وتحرك (كرشيف) مسرعا خلف السيارة التي بها (هارون) وجثث والديه، حتى دخل (هارون) الواحة وعند مروره من أمام منزل (الشيخ فالح) وجد (فارس) يمضي في طريقه وحيداً متجهاً لمنزله فتوقف بالسيارة أمامه.

ونزل من السيارة مستوقفاً (فارس).

- اسمع يا(فارس).. لو خايف على عمرك ملكش دعوه بعنود وانسي موضوع الخطبة ده خالص.

- اسمع إنت يا(هارون) لو فاهم إني هخاف منك ولا من الكلمتين التافهين دول تبقي غلطان..

وإنت اللي لو خايف على عمرك ملكش دعوه بعيله (صالح) يا إما قسما بالله ما حد ها يدخلك السجن غيري..

وانت فاهم وأنا فاهم.

كان معظم سكان الواحة يخرجون من المسجد بعد إنتهاء صلاه المغرب وسمعوا ورأوا ما يحدث بين (هارون) و(فارس)، وشعر (هارون) بانكسار هيبته أمام الجميع فأخرج مسدسه من جيبه موجهه ناحية رأس (فارس) ناظراً لعينه وقبل أن يطلق رصاصته تحرك (ربيع) رافع يد (هارون) للأعلى فخرجت الطلقة في الهواء.

كان (كرشيف) متابعا لما يحدث يملؤه الغضب وهو يري صديق آخر كاد أن يموت علي يد نفس الشخص، مع خروج الرصاصة وصوتها المدوي خرج (صالح) من المنزل ليري ما يحدث وعندما رأي (هارون) و(فارس) أسرع متخطيا الطريق جريا ليقف في وجهه (هارون):

- مالك يا(هارون)؟ محدش قادر عليك عاوز تقتل (فارس)؟ مكفكش قتل عمك؟

ووقعت هول وصدمه الكلمة على جميع من يشاهدون الموقف نظر (هارون) (لربيع) باعدا يديه وعاد ليوجه فوهة مسدسه (لصالح) وبأقل من لحظات قبل وصول المسدس لوجهه (صالح)..

كان هو الأسرع...

كان أسرع من ضوء البرق..
كان أسرع من سرعه الصوت وطلقه الصاروخ.
كان الغضب هو الدافع للإنتقام.
وكان الحب والوفاء هو الأسرع للحماية.

إنطلق (كرشيف) قافزاً في الهواء، ممسكاً بذراع (هارون) بين فكيه ساحبه أرضاً أمام أنظار الجميع، ثم قبض بفكيه علي رقبة (هارون) ولم يتركها إلا وهو جثة هامده.

حدث هذا في أقل من ثانية،

بدأ الصراخ والجري والهلع يسود بين الناظرين، وعندما تأكد (كرشيف) من موت (هارون) وقف علي جثته بكل ثقة، كانت أصداء عواءه تسبق الريح تعلو بنبره الإنتصار ونظر خلفه ورجع للوراء متجها لصديقيه (فارس) و(صالح).. يمسح رأسه.. وجسده بين قدميهما، وقف بينهم ينظر للجميع.. وهنا نزل (فارس) و(صالح) علي ركبتيهما يحضنان (كرشيف) ويقبلاه ويشكراه علي ما فعل.

وتبدلت نظره الخوف بعيون الناظرين لنظرة راحة وأمل وعرفوا وقتها من حجم كرشيف انه هو الكلب الذي كان يمشي بين فارس وصالح دائما وهنا نظر صالح للجميع.

إنتوا السبب في ده، خوفكم ورعبكم وعدم تصديكم للظلم هو اللي بيعمل الفرعون ولو فضلتوا علي ده الحال ها يطلعلكم كل يوم

الف فرعون.

من أمتي كنا بنخاف طول عمرنا بنحب بعض وبنخاف علي بعض، طول عمرنا بنحترم بعض، طول عمر أهل الواحة عيله واحدة وبد واحدة، طول عمر الشيخ وكبير الواحة ماحكم علي حد لأن محدش عمره ظلم حد.

إحنا مش محتاجين كبير ولا شيخ يحكم ما بينا.. إحنا محتاجين نحب بعض اكتر ومنعملش الفرعون بإدينا ونقول هو بقي كده ازاي؟

ومن النهاردة أي حد ها يفكر يصطاد أي حيوان أنا اللي ها اقفله.

الحيوان ربنا خلقه لغايه يخدم بيها أرضه مش عشان نصطاده ونجري وراه.

والتف أهل الواحة حول صالح وفارس يشكرونهم علي ما فعلوا وأنهم كانوا السبب في الخلاص من بطش هارون.

ومن بين الجميع تدخل سيارات الشرطة مقتحمه منزل (هارون) وتتخذ الإجراءات بتشميع المنزل للإنتهاء من التحقيقات، فقد كان الباشا أسرع في التنفيذ ولكن (كرشيف) كان أسرع في القضاء والإنتقام.

ومن هول الصدمة سقطت (رقيه) أرضا لافظه أنفاسها الأخيرة بالحسرة علي كل شيء، فلم يستطيع قلبها التحمل.

وبعد إنتهاء التحقيقات والقبض علي (ربيع) والاعتراف بكل شيء

صادرت الدولة بعضاً من ممتلكات هارون وأمواله وجميع ممتلكاته في الإسكندرية، وهدمت نفق التهريب وتركت الميراث العائلي وممتلكات العائلة الأصلية ميراثا (لصالح)، فقام ببيع واستعمال أموالها في تجديد المسجد وتحويل الوحدة الصحية إلي مستشفي وبناء بعض المنشآت التي تخدم أهل الواحة.

وقام أيضا ببناء مدرسة من ماله الخاص وأطلق عليها مدرسه الشيخ فالح.

وعاد كرشيف لجبل الموتى ليعيش حياته الطبيعية مع بني جنسه وكان كل فتره يأتي إلي الواحة ويسير بين أهلها بدون خوف ليري صاحبيه ويلعب معهما ويطمئن عليهما ويعود من حيث أتى.

تمـــت

المحتـــــوى

المقدمـــــــــة ٣

الفصـــــل الأول ٥

الفصل الثانـــي ١٧

الفصل الثالـــث ٢٥

الفصل الرابـــع ٤٩

الفصل الخامس ٧٣

الفصل السادس ٨٥

الفصل السابـــع ٩٩

الفصل الثامن ١٢٧

الفصل التاســع ١٥١

الخاتمـــــــــة ١٧٣

ماســـتر ©